



ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

خواطر حول المتنبي والمعري

عبدالله زكريا الانصاري

شاعران بارزان انجبتهما الامة العربية وراحا يغنيان أفراحها وأتراحها ، ويرسلان أشعارهما غناء مطربا تارة ، وغناء مليئا بالشجا تارات اخرى ، والحياة اكثرها شجا ، الذي يعشق الحياة يشجى في عشقه ، والذي يبغضها يشجى في بغضه . والذي يطلب المجد يشجى ويتعب في طلب المجد ، والذي ينشد العدل يشجى ويتعب في طلب العدل ، انها الحياة ، شقاء وتعب وشجا ، لكنها مذمومة مرغوبة ، محبوبة ، قبيحة جميلة ، انها مجموعة من المتناقضات ، يقول المعري : —

تَعَبٌ كلّها الحياةُ فمَا أعْـ
ـجَبُ إلاّ من راغبٍ في ازْديادِ

ويقول المتنبي : —

صحبَ الناسُ قبلَنا ذا الزّمانا
وعناهُمْ من شأنهِ ما عَنَانا
وتولّوْا بغصّةٍ كلّهم منه
وان سرَّ بعضهُمْ أحيانا

المتنبي طغت الحكمة في شعره ، حيث اخذ ينتزعها انتزاعا من صميم الحياة ، والمعري طغت الفلسفة على شعره فراح يمعن في فلسفة الحياة ، وفلسفة مآسيها وأشجانها .

المتنبي اشبع الادب شعرا عاليا رفيعا في معناه وفي مبناه ، والمعري اشبع الادب شعرا فلسفيا رائعا في همومه واحزانه . ولم يخل شعر المتنبي من فلسفة ، والفلسفة انما هي تفسير المعرفة تفسيرا عقليا ، فكيف اجتمع للمتنبي الشعر الرفيع ، والفلسفة العقلية ؟ والشعر كما هو معروف ، وحي والهام ، يعتمد على العاطفة اكثر مما يعتمد على العقل ، ويعتمد على الخيال اكثر مما يعتمد على الواقع ، والفلسفة ليست الهاما ولا وحيا ، لانها لا تعتمد في تفسيرها على العاطفة والخيال ، اذن كيف اجتمع للمتنبي هذان المتناقضان ، الشعر والفلسفة ؟

ان المتنبي تنطلق منه الحكمة انطلاقا في كل قصيدة من قصائده ، بل انها تنطلق انطلاقا في كثير من ابيات القصيدة الواحدة ، لانه شاعر يسعى الى المجد ، ويشحنه سعيه بالمعاناة ، وطريق المجد طويل شاق ومليء بالصعاب « ولولا المشقة ساد الناس كلهم » كما يقول هو نفسه ، لهذا فان شعره مشحون بالحكم التي يستمدها من معاناته ويضربها امثالا لتأكيد ما يعانيه من الحياة التي يحياها ، كما ان هذه وتلك اضفت على شعره قوة العبارة ، وعمق الفكرة ، وبعد الخيال ، وفصاحة القول ، وروعة المعاني ، وموسيقى الكلمات . فهو عندما يتحدث عن فلسفة الحياة شعرا ، لا تشعر وانت تقراه بجمود الكلمات ، والكلمات العقلية اكثر جمودا من الكلمات العاطفية .

انه شعر غنائي رفيع ، يشترك فيه الخيال والعاطفة ، مع الفكر والعقل ، ويشترك مع هذين وذينك البلاغة ، والفصاحة ، وجمال الاسلوب ، مع نغم النشيد الموسيقي اذ يقول : —

تخالَفَ الناسُ حتّى لا اتّفاقَ لهُمْ
إلاّ على شَجَبٍ والخُلْفُ في الشَّجَبِ

فقيلَ تخْلُصُ نفسُ المرءِ سالمةً
وقيلَ تُشْرك جسمَ المرءِ في العَطَبِ
ومَنْ تَفكّرَ في الدّنيا ومهجتِه
أقامَهُ الفكْرُ بين العَجْزِ والتّعَبِ

كيف يكون ذلك ، وكيف يجتمع لشاعر ما لم يجتمع لغيره من الشعراء ، خصب الخيال ، وعمق الفكر ، واستخلاص الامثال ، وانسجامها في القصيدة ؟ ان ذلك يدل بلا شك على تعدد المواهب لدى الشاعر ، فانه يندفع في قصيدة الرثاء هذه اندفاعا ليخرج منها بعد ذلك بهذا التساؤل الذي لم ولن يصل به الانسان المفكر العاقل الى نتيجة حاسمة . ان الناس عقلاء ومفكرين ، بل حتى الذين لا يهتمون اهتماما كبيرا بعمق التفكير ، يتخالفون ويتجادلون في كل شيء ، وعلى كل أمر من الامور ، لكنهم لا يختلفون على الموت ، بل كلهم يتفقون عليه ، على مختلف مستوياتهم الفكرية والعقلية ، يختلفون فيحسم الموت اختلافهم ، ويتجادلون وينهي الهلاك جدالهم . اي أن الموت هو النتيجة الحتمية للحياة ، حياة الانسان وغير الانسان ، لكن المشكلة تأتي بعد ذلك ، اي بعد الموت ، وهنا يقع الخلاف ، ويزداد الجدال . يشتد الخلاف ويحتدم النقاش على الروح بعد الجسد ، وهل تفنى مع الجسد ، ام تبقى بعيدة عن الفناء ؟ هذا هو السؤال الذي لا جواب عليه ، ومهما فكر المفكرون ، ومهما حاولوا الوصول الى دليل يجمع عليه الناس ، كل الناس . فانهم عاجزون بلا جدال عن معرفة الروح وكنهها .

ان الذي افنى الجسد قادر على ان يفني الروح معه ، وهذا رد على الذين يتساءلون ويقولون : هل نبعث اذا متنا ؟ « ائذا متنا وكنا ترابا وعظاما ائنا لمبعوثون » ؟ والبعث لا يتعلق بفناء الروح او عدم فنائها ، ذلك أن القادر على بعث الاجساد من التراب ، قادر على أن يبعث معها ارواحها . اذن مهما حاول المفكرون والفلاسفة والعقلاء والعلماء ، فانهم لن يعرفوا هذا السر ، وهو الروح ، وهل تفنى مع الجسد أم تبقى حية بعد فنائه ؟

انك عندما تقرأ هذه القصيدة التي تعتمد على خصب الخيال ، وشبوب العاطفة وتصل الى هذه الابيات ، لا تشعر الا بالانسجام التام ، والموسيقى الشعرية العالية ، والغناء المنغم الجميل .

هذه قصيدة رثاء ، ثم نأتي لنقرأ له قصيدة مدح فنجده يقول في قصيدة المدح هذه هذين البيتين المنسجمين معها انسجاما تاما ، حيث يقول : —

إلْفُ هذا الهواءِ أوقعُ في الانْفسِ
إن الحِمَامَ مُرُّ المَذاقِ

والأسَى قبلَ فرقةِ الروحِ عَجْزٌ
والأسَى لا يكونُ بعدَ الفِراقِ

فهنا تتمثل روح المتنبي العالية ، ونبوغه الشعري، وسمو عاطفته ، وبعد خياله . ان هذين البيتين كما يقول أبو العلاء المعري « يفضلان كتب الفلاسفة ، لانهما غاية الصدق ، وغاية حسن النظام ، ولو لم يقل شاعرهما سواهما لكان له شرف منهما وجمال » . وهما ايضا يحضان على الشجاعة والاقدام . فالذين يقولون ان طعم الموت مر ، انما قالوا ذلك لان نفوسهم الفت الهواء الطيب ، والحياة الناعمة ، ورخاء العيش ، ولذلك الفوا الحياة فجبنوا ،وباتوا على الضيم، ورضوا الهوان ، والا ما بالهم يتقاعسون ما دام الحزن قبل الموت عجز ، وبعد الموت لا يكون هناك حزن .

هذان مثلان نسوقهما من شعر المتنبي المليء بالحكم والامثال لنستدل منهما على المميزات التي اجتمعت للمتنبي ، او جمعت فيه ، ولنستدل منهما أيضا على صدق شاعريته ، فهو يقول الشعر عن صدق ومعاناة ، سواء كان يتكلم في شعره عن السرور او عن الحزن ، او يمدح او يرثي ، او يتكلم عن الحياة بعيدا عن السرور والحزن .

اما المعري فشاعر فيلسوف ، اقعده العمى ، فشل حركته ، فوهب حياته لخدمة الحياة ، وعندما خاض غمارها وهو في عماه ، زهد فيها بعدما خبر الناس ، ورأى اكثرهم منافقين ، غشاشين ، كذابين، لا سيما اولئك الذين يجب أن يكونوا قدوة لغيرهم ، فهاجمهم ، وزهد فيهم ، وزهد في الحياة نفسها ، ورق شعوره على مخلوقات الله الضعيفة التي يبطش بها الانسان ، دون رحمة . انه يتحسس الحياة بمشاعره، ويخاطب الناس بوجدانه،وينظر اليهم بمنظاره الخاص. له عاطفة رقيقة حتى على أصغر مخلوقات الله تعالى، فانظره كيف يخاطب الانسان الذي يفرك البرغوث الضعيف باصبعه فيهدر دمه ، ويقتله ، ويقضي عليه ، فيقول : ــ

تسريحُ كَفّكَ برغوثاً ظفرتَ به
أبَرّ منْ درهمٍ تعطيهِ مُحْتاجا

انك في عدم قتلك البرغوث الضعيف تكون ابر من الذي يعطي المحتاج صدقة ، اي أن عدم قتل البرغوث اكبر من صدقة المحتاج . هذه عاطفة المعري ، فهو لا يرضى القتل مهما كان نوعه ، كما أن نظرته الى الحياة تختلف عن نظرة الاخرين ، ورايه فيها يختلف عن رايهم ، انه يقول : ــ

غدوت مريضَ العَقْل والدّين فالْقَني
لتسمعَ أنْباءَ الأمور الصّحائحِ

فلا تأكُلَنْ ما اخرَجَ الماءُ ظالمًا
ولا تبغِ قوتاً من غَريضِ الذبائحِ
ولا بيضَ امّاتٍ ارادتْ صريحَهُ
لأطفالِها دِينَ الغَواني الصّرائحِ
ولا تَفْجَعَنَّ الطّيرَ وهيَ غوافلٌ
بما وضَعَتْ فالظّلم شرُّ القبائحِ
ودَعْ ضَرَبَ النّحلِ الذي بكَرَتْ له
كواسِبُ من أزْهارِ نَبْتٍ فوائحِ
فما أحْرَزَتْهُ كيْ يكُنَّ لغيرِها
ولا جمعتْه للنّدى والمَنائحِ

الى اخر القصيدة ، انه يحرم اكل السمك ، واللحم ، والبيض ، والطير ، والعسل ، ويعلل الاسباب التي تدعوه الى هذا التحريم تعليلا عاطفيا ، فمن الظلم ان يقسو الانسان على الحيوان الضعيف فيقتله ويأكله ، ويسطو على رزقه واطفاله فيقضي عليهما . هذه فلسفته في حياته .

ومع خصب خياله ، وعمق تفكيره ، واطلاعه الواسع على علوم اللغة العربية ، وتمكنه من الشعر، الزم نفسه به الزاما ، وقيد نفسه بقافية لا يشذ عنها ، اي انه التزم في لزومياته بالقافية التي يتكرر في ايقاعها اكثر من حرف واحد . ففي قصيدته الحائية التي مرت بنا ، تجد قافيتها ملتزمة بالحروف الثلاثة الاخيرة ، وهي ، الالف او المدة ، والهمزة والحاء ، هكذا (ائح). وفي قوله مثلا : ــ

رددت إلى مليكِ الخلقِ أمْري
فلمْ أسألَ متى يقَعُ الكُسوفُ
فكَمْ سَلِمَ الجَهولُ منَ المنايا
وعُوجِلَ بالحِمامِ الفيلسُوفُ

التزم في هذين البيتين بالحروف الثلاثة وهي ، السين والواو والفاء .
وفي قوله :

طلبَ الخَسَائِسَ وارْتقى في مِنْبَرٍ
يَصِفُ الحِسابَ لأمّةٍ ليَهُولَها
ويكونُ غَيْرَ مُصَدّقٍ بقيامةٍ
أمْسَى يُمَثّلُ في النفوسِ ذُهُولَها
ووجدْتُ ليْلَ الفَيّ ألْبَسَ مُرْدَها
وشيوخَها وشَبابَها وكُهُولَها
لو قامَ أمواتُ العواصِمِ وَحْدَها
ملأوُا البلادَ حُزونَها وسُهُولَها
فخُذِ الذي قالَ اللبيبُ وعشْ بهِ
ودعِ الغواةَ كَذُوبَها وجَهُولَها

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

التزم هنا بخمسة حروف . وهي ، الهاء ، والواو ، واللام ، والهاء ، والالف او المدة ، اي (هولها) .

وهكذا يمضي المعري في لزومياته ، بعضها يلتزم بها بحرفين ، وبعضها بثلاثة حروف ، وبعضها بأكثر من ذلك ، انه يلزم نفسه ويقيدها تقييدا بهذا الالزام ، ومع ذلك يعبر عن رايه بكل جدارة ومقدرة ، لكن ترى ما الذي دفعه الى الزام نفسه بهذا الالزام ؟ نقول ربما اثر عليه عماه ولزوم بيته ، فأراد أن يلتزم بشعره كما التزم ببيته ، من جراء العمى الذي اصابه وهو صغير . انه اذن في سجون اربعة وليس في سجون ثلاثة كما يقول : ــ

أَرانِي في الثّلاثةِ منْ سُجُوني
فلا تسألْ عنِ الخبرِ النّبيثِ
لفقْدِي ناظِري ولزومِ بيْتي
وكوْنِ النفْسِ في الجسَدِ الخَبيثِ

انه في سجن رابع اضافة الى السجون الثلاثة التي تتمثل في سجن نظره في العمى ، وسجن جسده في بيته ، وسجن نفسه في جسده ، لعل هذا هو الذي دفعه الى الزام نفسه في شعره ، ولربما جاء بالعجب العجاب في شعره لو لم يتقيد في لزومياته ، اذ مهما اتسع نطاق اللغة العربية ، وهو واسع بلا جدال ، فلا بد ان تحد من استرساله . لكن من يدري فلعل الزامه نفسه بالقافية في شعره هو الذي جعله يأتي بهذه الفلسفة الرائعة في لزومياته ، وهذا الشعر العجيب الذي يفسر فلسفته في الحياة تفسيرا عقليا وعاطفيا معا ، ولربما انه لو لم يلتزم بهذا الالتزام ، لما تميز في لزومياته هذه على سواه من الشعراء السابقين واللاحقين على حد سواء .

اذن فالمعري شاعر فيلسوف ، ومع ذلك لم يخل شعره من الحكمة ، والمتنبي شاعر حكيم ، لم يخل شعره من الفلسفة ، وهو ينتزع الحكمة انتزاعا من صميم الحياة ، ويرسلها شعرا في قالب رائع من الحسن والجمال ، فتسير على الحياة على مداها ، تقطع الليل والنهار ، لا يردها حد من الحدود ، ولا يقف امامها الزمان ، ولا يعيقها عائق . تتخطى التاريخ ، منطلقة في حناياه ، متغلغلة في اعماقه ، لا يهمها الغادون ولا الرائحون ، يذهب الذاهبون ، ويأتي القادمون ، وتتغير معالم الحياة ، وتتطور مظاهر الحضارة ، وهي سائرة في طريقها ، ترددها الالسن ، وتخفق لها القلوب ،ويشدو بها الشادون . حكم يتمثلها الشعب على مختلف طبقاته ، الذين يرفلون في النعيم، والذين يتقلبون على الطوى وفي الشقاء ، الذين يكدحون ، والذين يعيشون على كد الكادحين وعرقهم. وامثال يضربها الناس في مختلف شئون الحياة ، وهو القائل عن حق وجدارة : ــ

وَما الدّهْرُ إلاّ منْ رُوَاةِ قَلائِدي
إذا قلْتُ شِعْرًا أصْبحَ الدّهْرُ مُنْشِدا
فسارَ بهِ منْ لا يسيرُ مُشَمِّرًا
وغنّى بهِ منْ لا يُغَنّي مُغَرِّدَا

كان الدهر منذ قدوم المتنبى الى الحياة وما زال والمتنبي في التراب ، يروي شعره ، ويسير به من عصر الى عصر ، يغني به المغنون وغير المغنين ، وينشده المطربون وغير المطربين ، لانه شعر ينبع من نفس شاعرية ، ويفيض من سجية مليئة بالصدق والاحساس والمعاناة ، ومن قلب يخفق بالعاطفة الجياشة ، وعقل غني بالصفاء والوضوح ، وفكر جاب علوم اللغة العربية ، ولسان ينطلق من فصاحة ، وبلاغة ، وبيان.

المتنبي شاعر المجد والطموح ، اماالمعرى فشاعر النفس المعذبة ، الزاهدة في الحياة ، الطافحة بالاسى والحزن من جراء ما تراه من تناقضات ومفارقات في مخلوقات الله تعالى : ــ

ما الخَيْرُ صَوْمٌ يذوبُ الصّائمونَ بهِ
ولا صَلاةٌ ولا صوفٌ على الجَسَدِ
وإنّما هُوَ تَرْكُ الشّرّ مُطّرَحًا
ونفْضُكَ الصّدْرَ من غلٍّ ومنْ حَسَدِ
ما دامتِ الوُحْشُ والأنْعامُ خائِفَةً
فَرَسًا فمَا صَحّ أمْرُ النّسْكِ للأسَدِ

ويقول عن نفسه : ــ

عُيُوبِي انْ سألْتَ بهَا كثيرٌ
وأيّ الناس ليسَ لهُ عُيُوبُ
وللانْسانِ ظاهرُ ما يَرَاه
وليسَ عليهِ ما تُخْفِي القُلُوبُ
يَجُرّونَ الذّيولَ على المخازي
وَقَدْ مُلِئَتْ من الفشّ الجُيُوبُ
وكيفَ يَصولُ في الأيّامِ لَيْثٌ
إذا وَهَتِ المخالِبُ والنّيُوبُ

هذا شاعر حبيس بجسمه ، طليق بروحه يشكو الحياة ويتألم لمآسيها ومظالمها وذاك شاعر يجوس خلال الديار ، بحثا عن المجد والعلا ، تتدفق الحكمة في اقواله ، وتختلف الامثال في اشعاره . المتنبي شاعر طموح في الدنيا ، والمعري شاعر طموح في الموت . المتنبي يقول : ــ

وفي الجسْمِ نَفْسٌ لا تَشيبُ بشَيْبِهِ
ولِي أنّ مَا في الوَجْهِ منهُ حِرَابُ

لهـا ظُفُـــرٌ إنْ كـلّ ظفرٍ أعَـدّهُ
ونـابٌ اذا لمْ يبْقَ في الفَـمِ نـابُ
يُغَـيّرُ منّـي الدّهْرُ ما شَاءَ غيّرَها
وأبْلغُ أقصى العُمْـرِ وهيَ كَعَـابُ
وإنّـي لنَجْـمٌ تَهْتَـدي بـيَ صحبتي
إذا حالَ منْ دونِ النّجـومِ سَحَابُ
غَنِيّ عـنِ الأوطـانِ لا يستفزّنـي
إلـى بلـدٍ سافَـرْتُ عَنْهُ إيابُ

انه يضرب في طول الارض وعرضها ، ويسير من بلد الى بلد طلبا للمجد الذي تدفعه اليه همته العالية ، وبأسه الشديد ، وعزمه الجبار ، يجرب الحياة ، ويذوق حلوها ومرها ، ويجوب سهولها وحزونها ، ويلقي بقصائده من خلالها ساطعة لامعة ، تضيء ببيض المعاني ، وتلمع ضياء ونورا ، يهتدي بهديها السائرون في دروب الحياة .

والمعري يقول : ــ

بَني الدّهْـرِ مَهْلاً إنْ ذممْتُ فِعَالَكُمْ
فإنّـي بنَفْسي لا محالةَ أبـدأُ
متَى يَنقضَى الوقـتَ واللهُ قـادرٌ
فنسكـن في هذا التّراب ونهـدأُ
تَجاورَ هذا الجسْمُ والرّوحُ برهـةً
فمَـا بَرِحَـتْ تأذى بذاكَ وتصْـدَأُ

انه يذم الدنيا واهل الدنيا على فعالهم ، ويبدأ بذم نفسه لانه منهم ، ويستعجل الموت ليستريح من عناء الحياة ، ويسير في شعره هكذا يائسا احيانا ، ناصحا بني الدنيا احيانا اخرى ، وهو بذلك ينسج فلسفة غنية بالمعاني ، وشعرا مليئا بالصور المتحركة الحية لحركة الانسان ودابه الذي شب عليه ، ينظر الى الانسان فلا يرى فيه الا الشرور ، وينظر الى الدنيا فلا يرى فيها الا الرزايا ، ولا يختلف عند المتنبي في هذه النظرات الى الانسان وهو القائل : ــ

أبُوكُـمْ آدمٌ سَـنّ المَعاصي
وَعَلّمَكُـمُ مفارقَـةَ الجِنَـانِ

شاعران عملاقان ، تسنما علياء الشعر ، وغنيا فيه ردحا من الزمن ، واغنيا اللغة والادب ، وارتفعا بالشعر الى مكانه الرفيع ، وكل سار في طريقه ، وقد خلفا بصماتهما على الحياة بصورة واضحة جلية ، وفلسفا معاني الحياة التي خاضاها ، وماتا ، ودفن جسداهما في الثرى ، لكنهما ظلا نجمين ساطعين يضيئان في سماء الشعر والادب ، ويهديان بآياتهما البينات الذين يسيرون في هذا الدرب الطويل .

هذه بعض خواطر عن هذين الشاعرين في حياتنا الادبية ، وهي خواطر لا يمكنها ابدا ان تعكس حياتهما ، او ان تعطي صورة متكاملة واضحة جلية عن التراث الخالد الذي خلفاه لنا وللاجيال التي سبقتنا ، وللاجيال القادمة ، وسيبقى هذا التراث الحي حيا الى ما شاء الله له ان يبقى .

انهما شاعران كبيران لا شك في ذلك ولا جدال ، واسلوبهما في الحياة واضح ، والمعري جاء بعد المتنبي فأعجب به ، وتغنى بشعره ، ودفعه اعجابه هذا الى شرح ديوانه الذي سماه (معجز احمد) .

شاعران فيلسوفان ، غنيان عن البيان والتعريف ، وما خلفاه من شعر ونثر ما زال يشع على حياتنا الادبية ، وما زال يستمد منه الادباء والشعراء مختلف المعاني التي تعينهم في حياتهم الفكرية .

عبد الله زكريا الانصاري

صدر حديثاً

صقر الشبيب وفلسفته في الحياة

تأليف

عبد الله زكريا الانصاري



أنا والليل



شعر
يعقوب
السبيعي

هَرِمَ الليــلُ وما زلتُ فَتِيّـــا
أَصِلُ النجْـــمَ وإِنْ كانَ قَصِيّا
أستمِـدُّ العمْـرَ مــنْ تلك التي
أسلمتْني ليَـدِ الشّوْقِ صبيّـــا
كيف لا تَعبُـدُ روحِـي طلعـةً
نَسِيَ اللّيــلُ بعينيْهَـا الثُّـرَيّا
كلمـــا اعتَـلّ بليـلٍ بَصَـرِي
مَسَحَـتْ عينيَ فارتـدّ سَوِيّـا
واذا ناديتُهـــا واقتربَـــتْ
وهي ترنــو لتعابـيري مَلِيّـــا
رَقّ ليلِـي وحَـلا حتـــى اذا
صارَ في عينَـيّ لوناً عَسَليّـــا
سنَحـتْ لـي فرصـة أرْقبُهـا
لأرى خلـفَ سَـوادِ الليلِ شَيّا
فأذا ما جاشَ صـدري راغبـاً
صلبتْنـي بـين عَينيْها نَبِيّـــا

★ ★ ★

هـلْ ظَـلامُ الليـلِ الا فرصـةٌ
لِيَصـيرَ النجـمُ وَضّاحاً جَلِيّـا

★ ★ ★

نَسِيَ الليـلُ ومـــا كان نَسِيّـا
أنّ للقلـبِ بِدُنْيَـاهُ نَجِيّـــا
وبِعينَيْـــهِ أَرانِـي فارسـاً
أمتطي الليلَ جَـواداً عربيّـــا
وأجوبُ الكـونَ بَحْثـاً عـن غدٍ
هَيّـأَ القلـبُ له نَبْضـاً حَفِيّـا
فَـيَرى الظلمَـةَ غَـيْرِي وأرى
كيـفَ يَنسـابُ لِيَ النـورُ خفيّا

يعقوب السبيعي ــ الكويت

الشعر

وهل يموت



بقلم الدكتور
علي
جواد
الطاهر

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

رأى ارسطو ان الشعر محاكاة والمحاكاة غريزة في الانسان . وليس بالمسألة حاجة الى ارسطو ، ولكننا اعتدنا الاستشهاد بالادمغة الكبيرة اكراما لها وتقوية لنا .. والا فالحال من البداهة بمكان .

الشعر فطرة ، ولازمة من لوازم الحياة ، ترتاح اليه النفس وتتخفف به وتوازن العناصر الاخرى داخلها وخارجها . ولم يكن هناك معلم او مدرسة حين كان الشعر الاول والشاعر الاول؛ وحين استمر طويلا، كان فلان دون قومه يقول الشعر فيستمعون اليه ويرددون وينشدون . .كأنه شعرهم وكأنه صدر عنهم .. لدى الدفاع ولدى الهجوم .. ولدى كل امر ..

- وأقل ما يعني هذا ، أن ما كان فطريا كان أصيلا في الانسان ، وما كان أصيلا اكتسب صفة الدوام ... وقد يتعثر حينا ويضعف حينا ، الا انه ينهض ويقوى كأن لم يكن هو المسؤول وانما المسؤول ظروف خارجة عن طبيعته أو أنه المسؤول استدرك فأدرك ، فعاد هو هو ذهابا وايابا،وقد تغير منه العرض ، والجوهر باق ، أجل ، لا بد للانسان من شيء ، سمه ما شئت ، وسمه الشعر ان قصدت الى التيسير .

ثم ان الشاعر لا يغني لنفسه حتى حين يغني لها وحدها ، اي أن هناك طرفين « توصل » بينهما اللغة. هناك ثلاثة أشياء : مرسل ومتلق وسلك رابط ، ولا بد من سلامة هذه العناصر مجتمعة لكي يكون الشعر في صحة ، وقد بدت ، منذ يومها الاول ، سليمة، واستمرت طويلا كذلك ، ولهذا كان لها ما كان من شأن في المجتمعات والحضارات ، وربما استقل الشعر وحده بالدلالة على الحضارة .. حتى اذا اختل عنصر ، اختل الجهاز فتوقف شأن الشعر، أو تلكأ وبدا كأن لاحاجة اليه ... وماهي الا مدة — تقصر أو تطول — حتى يصلح الجهاز ويعود الشعر الىمكانه ويتضح للناس الخطأ فيما تصوروا .. ولكنه اذ يعود هذه المرة ، لا يعود كما كان في البداية ، منفردا — أو شبه منفرد — في الميدان ، لان من شأن الحضارة التعقيد والتعود ، فهو — اذن — واحد من أشياء اخرى لم تكن من قبل

او لم تكن لها هذه المكانة . . . ، وهذه الاشياء الاخرى قريبة الصلة به متصلة بالمنبع الذي تنبثق منه ، وقد كانت معه على وجه من الوجوه ، وهو لا يعود نسخة لما كان ، فلا بد من تغير ما يتبع التغيرات الخارجية ويطاوعها ويستوعبها ، فما من طبيعة الاشياء ان يبقى كما هو ، ولو بقي لما حفل به احد .

ويبحث العلماء في الظواهر الاجتماعية ويحاولون ان يجدوا لها في ضعفها وقوتها اسبابا ، وفي الظواهر الاقتصادية كذلك .. وقد تكون الاسباب منفردة او مجتمعة ، مقبولة او اقرب الى المقبولة ، فهي تعمل — على اي حال — في مجال ممكن ، وملموس . . .

ويبحثون في الظواهر غير المنظورة، ومنها الشعر (والشاعرية) ، مرة في مجال غيبي ومرة في التحليل النفسي ومرة في علم الاجتماع .. والاقتصاد . . . بين اقصى المثالية واقصى المادية ويقولون اشياء قد تقبل ولكنها لا تقنع ، بل انك لتلاحظ التردد — والتناقض — على الاحكام التي يقدمونها اليك ، وقد يتضمن التردد او الحكم نوعا من الاعتذار بصعوبة الحقل المتناول .

ليس ازدهار الشعر كازدهار الصناعة والزراعة ، والصحة الجسمية والنفسية ، ولا تشترط مصاحبته لهما انبثاقه عنهما او انبثاقهما عنه ، وليس القحط فيه كالقحط في المواد الغذائية . ولكن العقل الانساني — مع ذلك — لا يكل . فمن مزاياه المحاولة والدأب وقد يصل يوما ما الى السبب او الاسباب . اما تشخيص الظاهرة نفسها فسهل وممكن ، لانها — في ابسط صفاتها — ظاهرة .

ازدهر الشعر العربي في الجاهلية، واخرجت الجزيرة كبارا .. كل ذلك وهي في حالة جاهلية ، ولكنه قحط وقد توحد ابناؤها تحت لواء وخرجت من حدودها الضيقة الى ما هو اوسع واوسع .. ثم عاد وازدهر .. وعاد وقحط بعد المتنبي وازداد قحطا في القرون التالية ، اربعة قرون ، خمسة ، تسعة .. ولم يكن القحط في الكمية ، فقد كان العدد عديدا ،ولكن العديد لم يزيدوا — لدى التحقيق — عن نظامين صغار . فلماذا ؟ وفيهم العالم باللغة والعروض .. والتاريخ والفقه .. ان اي واحد منهم يملك من العلم ما لم يملكه امرؤ القيس . . . فلماذا ؟

— لم ازدهر الشعر ؟ ولم قحط ؟

— يمكنك ان تذكر اسبابا كثيرة ، منها ما يتعلق بسعة مجال القول وضيقه ، ومنها ما يتعلق بالتشجيع والتثبيط ، ومنها ما يتعلق بالظروف الاجتماعية .. وقد تقبل اسبابك ، ولكنها لا تقنع ، وقد تكون انت اول متشكك بها .

وما جرى للعرب جرى لغيرهم من فرنسيين وانكليز والمان ، لقد زاد الشعراء في فرنسة في القرن السابع عشر وجودوا ، ولم يبلغوا هذا المبلغ في القرن الثامن عشر ، واستأنفوا الجودة . كما وكيفا في التاسع عشر. وقد تنوع الشعر خلال هذه الماجريات ، بل انه في القرن التاسع عشر نفسه رأى صورا لا تكاد تشبه الواحدة منها الاخرى من رومانتيكية الى بارناسية الى رمزية .. وقد بعد في كل ذلك كثيرا عما سمي بالكلاسيكية .

— لم هذا التغير ؟

— لان الاذواق تغيرت ، وحاجات العصر تغيرت ، والتاريخ تغير .

— الجواب مقبول .. ولكن لم يقحط الشعر حينا ويزدهر حينا ؟

— لا بد من ان يرد ذلك الى قصور فيه عن مساوقة الذوق ، عن استعمال اللغة المناسبة التي تنقل ما في الطرف الاول من الجهاز الى الطرف الثاني .. وقد يكون الطرف الاول قاصرا في « موهبته » ، او يكون الطرف الثاني في شغل شاغل — مؤقتا — عنه .. وقد تجتمع هذه « القصورات » وقد تفترق .. ويزيد الموقف تعقيدا خفاء « الموهبة » على مدى المعرفة .. فما هي ؟ وكيف تكون ؟ واين .. ومتى . .ولم نراها عند من لا يدل اي شيء فيه عليها ولا نراها عند من يملك كل مظاهر امتلاكها ؟؟

ولا بد من ان تكون هناك مواهب كبيرة ، ومواهب صغيرة ، ومواهب ليست مواهب .. وشاعر يدرك غور الظرف وشاعر لا يدرك ، وظروف معينة على الاستثمار وظروف معاكسة . . .

ولا يوصلنا — هذا كله — الى جواب عن ازمة شعرية تقع لانه يعمم ولا يحدد . ويمدد ولا يوحد . .

والعلم في بحث دائب . وقد يصل، قد .

ونعود الى ما نحن فيه واقرب اليه : الازمة ، وهل الشعر في ازمة ؟ وتعني الازمة — هنا — وجوهها المختلفة : القحط والرداءة في الموجود ، وانصراف الناس عن الموجود . . . وليس الامر مقصورا على امة دون امة ؟ وقد مر الشعر الاوربي بذلك . . . في سنوات من القرن التاسع عشر .. وخيل الى الناس ، والى الباحثين — ان امر الشعر قد انتهى ، فلم يعد له مكان في المجتمع ، ولا يهتم به الناس ، ولا يجدون اليه حاجة .. وما الحاجة اليه والعصر عصر علم وصناعة واختراعات ميكانيكية .. والشعر وسيلة بدائية ومظهر فطري .. وقد تعقدت الحياة وتحضر الناس ؟ !

وكاد السامعون يستنيمون الى هذه النظرة ويستسلمون الى هذه المقولة . ولم يدر بخلد اصحابها

— وفيهم علماء ومفكرون — شيء من الضلال في حكمهم ، ولم يمر ببالهم ان الامر سيتغير ، وسيولد من الشعراء من هم اكبر ممن راوا ، ويولد من الشعر طراز ما كان من قبل .. وسيصغي الناس الى هذا الشعر ويرون فيه كثيرا مما في انفسهم ويقبلون عليه .. وقد يصحب ذلك كفر بالآلة وبالعلم الصرف .

لم يدر ببالهم ..
ولكن هذا الذي حدث ..
واذن ، فليس عصر العلم نافيا للشعر ، وليس خمود الشعر ابديا، انه خمود مؤقت وليس موتا ، انه، توقف بانتظار الحركة .

وكان حريا بالناس ان يتخذوا عبرة مما جرى . والا يكرروا الحال ويعيدوا السقطة . فليست الازمة خالدة ،انها ازمة وليست موتا . ولكن العبرة لم تتمكن من النفوس ، او ان الاجيال تنسى احيانا .. فما عادت المكتشفات العلمية والاختراعات الحديدية وغير الحديدية ، والفلسفات الموغلة في العقل ، حتى بدا قوم يتشككون في قيمة الشعر وصلاحه للحياة ، ويرون ان زمانه قد انتهى ، وانه ابن الجاهلية والبداوة ، ولا مكان له في القرن العشرين ، عصر الذرة والصاروخ والمشي على القمر .. وصاح صائح: اين الشعر اين ؟ ما باله قد اختفى ؟ لقد ثبت عجزه وتأيد انتهاؤه !

وصدق المقولة من صدق ، وكثير من الناس يصدقون آذانهم ولا سيما اذا كان الظرف مناسبا ، وتلفتوا فراوا علما ولم يروا شعرا ، راوا شواهق العمارات ولم يروا عوالي المعلقات ، وبرزت التكنولوجيا على انها نقيض الشعر والعامل في القضاء عليه .

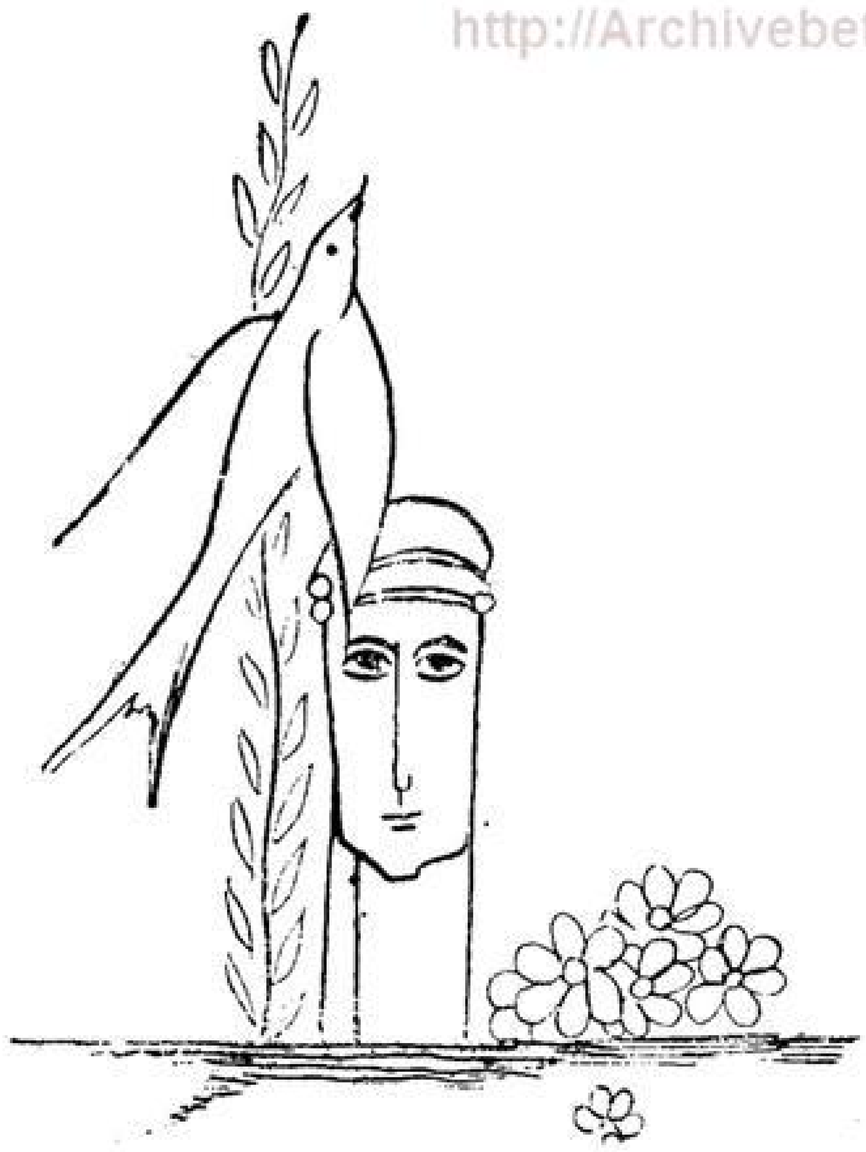
وليس الراي صحيحا ، لان الشعر لا يقتل ، ولكنه قد يضعف ، وقد يستهان به ، وقد تقل عوامل ازدهاره ... ثم لا يلبث ان يعود ، اما لانه عرف الحياة الجديدة وعبر عنها واما لان الحياة الجديدة عرفته واصلحت شانها .

ان العلوم ، والتكنولوجيا ، من مفاخر الانسان ، وما كان كذلك لا يقضي على مفاخر الانسان الاخرى وانما يؤيدها ويفسح لها المجال ويتكامل معها . وليست المسالة مناقضة بين طرفين وانما هي مسالة سوء فهم وسوء استعمال واختلال بالتوازن وتصرف غير مدني ، لان التصرف الصحيح ان يستغل الانسان كل شيء في سبيل سعادته اي سعادة مجتمعه ، في سبيل ان يخلص الحياة من الآلام ويحيلها رخاء . وبديهي جدا ، ان الحضارة ليست عمارات شاهقة ومكائن وطيارات وصواريخ ... انها اذا ارادت ان تكون صحيحة راقية لائقة بما يراه الانسان لنفسه من عقل وعاطفة ... تشترط التوازن ... بل ان الانسان الذي يسيطر على الطبيعة بعقله ، يبقى لديه نقص لا يسده عقله ، وفائض وقت هو والوقت الذي صرفه العقل سواء في القيمة ، انه يرى من تمام الحياة ومن تمام حاجاته ، وربما ابعد حاجاته : الفنون الجميلة ، ومن الفنون الجميلة الشعر ، ومن الفلاسفة من يعد الشعر قمة الفنون.

ان الانسان الذي يصارع يحتاج الى الشعر وسيلة من وسائل الصراع ، فاذا نجح ، ويجب ان ينجح ، احتاج الى الشعر وسيلة من وسائل الجمال ، بل انه لا يعود يكتفي بهذا الشعر الذي يسمعه من مواطنيه اليوم ، وانما يزيد عليه ما بقي في لغته على الزمان ، ثم لا يكتفي بهذا الذي في لغته ، وانما يتقصى الروائع مما جادت به قرائح الامم الاخرى ..

وهو اذ يقرا او يسمع يحس بانه حفظ التوازن في الحياة وانه انسان فعلا .

بغداد **علي جواد الطاهر**



ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الحلقة الأخيرة

مدخل لدراسة الحياة الادبية في قلب الجزيرة العربية



بقلم
ابراهيم عبدالله غلوم

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

في مراحل الاضطراب السياسي وظهور الدول المتتابعة

شعراء من قلب الجزيرة العربية

سنحاول أن نتحدث عن بعض شعراء قلب الجزيرة العربية الذين يمكن أن نستشف من شعرهم اصالة وقوة ، وشيئا من ملامح النزوع نحو التجديد . .

أ ــ علي بن المقرب العيوني

هو ابو عبد الله علي بن مقرب بن منصور بن الحسن بن عزيز بن ضبار الربعي العيوني . . امير من امراء الاسرة العيونية التي استطاعت ان تقيم لها دولة في منطقة الاحساء ، على انقاض الدولة القرمطية ، وكانت الخلافة العباسية حينئذ في أواخر ايامها ، تعيش في ضعف وفوضى وفتن وانتفاضات تنبعث من الاقاليم المجاورة لبغداد ، وكانت امارة البحرين من هذه الاقاليم التي شهدت حركات التمرد والثورة .

وقد ظل حكم الاسرة العيونية فترة من الزمن

---

(١) ساحل الذهب الاسود لمحمد سعيد المسلم منشورات درات مكتبة الحياة في بيروت ص ٢٦٥ .

استمرت ١٧٦ سنة عظم خلالها ملكهم واستطاعوا ان يذعنوا جميع القبائل تحت امرتهم ، ويتوسعوا في نفوذهم حتى وصلوا الى بوادي نجد والشام .

وبسبب هذا النفوذ الذي امتد في هذه المنطقة ، شهدت الاسرة العيونية انشقاقا وتناحـــرا عنيفا بين امرائها الذين تطلع كل منهم للاستئثار بالملك ، حتـى توزعت بلاد البحرين الى امارات صغيرة في داخل الاسرة الكبيرة ، واخذ كل امير يتربص بابن عمه واخيه فيقتلـه طمعا في الملك ، وقد عاش شاعرنا كل ذلك فثار عليـه وتنكر له وظل في شعره يدعـــو للتماسك ونبذ الذل والهوان .

وقد اثر هذا التناحر ، وهذا التحفز المستمر بـين الامراء الذي جعل كلا منهم يترصد للاخر .. اثر هـذا على شاعر الاسرة العيونية حيث انه وجـــد نفسه مصطرعا بواقع مرير يسقيه حسرات تفتتت لها نفسيته التي احست تفككا وضياعا لمجده ومجد آبائه .

ولم يقف الامر به الى هذا الحد بل انه اصيب بمحنة شديدة جعلته يتمثل الدهر مأساة كبرى احاطت بكـل وجوده ، وذلك عندما وقف في وجهه خصوم الداء عملوا على وشايته لدى الامير ابي منصور علي بن عبدالله ، حيث اوغروا صدره واوحوا اليه بأن ابن المقرب يريـد الاستيلاء على امارته ، وكل ذلك حسدا منهم وبغضـا فما كان من ابي منصور الا أن استولى على جميع اموالـه وبساتينه واملاكه ثم زج به في السجن ، ومكث فيه مدة ثم اطلق سراحه ، فرحل الى بغداد ، ثم عاد الى الاحساء حين تولى الامارة محمد بن ماجد ومدحه املا في أن يعيد اليه املاكه ، فماطل في وعده ووشى به بعض حساده من جلساء الامير ، فغادر الى القطيف ولبث فترة مدح فيها اميرها ، وعاد الى الاحساء ثانية وحاول اصـلاح ما افسده المفسدون عليه ، ولكنه يئس في نهاية الامر ورحل الى الموصل .

وهكذا ظل هذا الشاعر كالطريد يهيم على وجهـه بحثا عن امنه وخلاصه واستقراره ، ونشدانا لحقـه وعزته ومجده ، وجميع اشعاره تعكس لنا بصدق وبقوة هذا الوضع النفسي المصطرع ، فها هو يقول مرجعـا اسى مأساته بين قومه :

وصاحبت اقواما الاليت انني ... تبدلت زنجا منهم وصقالبا
ظننتهم ظلا ظليلا وجنـة ... فكانوا سموما يوم صيف وحاصبا
بليت بهم كالورد يلقى معاطسا ... احق بان يلقى اكفا خواضبا
سعوا في دمي بالجهد حتى كانني ... من الروم قد اعلمت جيشامحاربا
ولم يكفهم قيد ثقيل وخشبة ... برجلي في دهماء تنسي الحبائبا
واشياء لو عددتها طال شرحها ... ولم احصهافيمحكم النظم حاسبا

هكذا العيوني في معظم شعره ، يندب حظـه ويشكو ما ابتلى به في دهره من تنكب اهله وظلم الناس له ، وما لاقاه منهم من اذى حتى كأنه عدو من اعدائهم في حين انه منهم له مكانته بينهم ولكن ماذا يفعل اذا كانت الاجلاف قد ارتمت عليه فبلى بها :

بليت منهم باجـلاف سواسية ... قد صعدوا بزمامااللؤم وانحدروا

واذا كان قومه لم ينصفوه ولم يقدروه حق قدره بل تركوا له الاوباش تبث سمومها ، وتفعل الحقـد بينه وبين قومه ، ها هو في شعره يصور لنا ذلك اصدق تصوير فيقول :

ولو ان قومي انصفوني لاطلقوا ... يدي ولساني فيهم والقوافيا
فلولاهم والله حلفة صـادق ... لما كنت مقليا عليهم وقاليـا
ولكنها الاوباش تعلـم انني ... اغار اذا تعلو التخوت الاعاليا

ماذا يفعل شاعر مثل العيوني ازاء مجتمع يشعر به متالبا عليه من كل جانب ، يلحق به الاذى انى ذهب وانى حلت به رحله ، فقومه واقرب الناس اليه ينكرون عليه حقه ويستعدونه رغم مكانته ورغـم عبقريته في الشعر ، ثم هؤلاء الناس المحيطون به والذين تمثل فيهم زيف الحياة بأسرها بما اتى عليه من ظلمهم ووشايتهم ونذالتهم ونفاقهم وخداعهم له ولقومه .. هذا التمثل المأساوي العنيف انبعث في نفسية شاعرنا من شقين .. ظلم اهله .. وزيف الناس من حوله .. ففجر ذلك في نفسه تأزما واحباطا ثم نزوعا الى التمرد والثورة على ما وجده بين ظهراني قومه من التفسخ والانشقاق والـــذل .

لذلك وجه اليهم النقد ، وبين لهم ما هم عليه من الذل والهوان وها هو في صرخة احتجاجية تلمح فيهـا ذلك النزوع الثوري الذي يفتت به سكونية عالمه في تلك الحقبـــة من التاريخ : ــ

يا للرجال الا فتى ذو نجـــدة ... يحمي بمنصلـه على العليـاء
تالله اقسم لو دعـوت بندبتي ... حيـا للبى دعـوتي ونـدائي
لكنني ناديت موتى لـم تـزل ... اشباحهم تمشي مـع الاحيـاء
الفوا الهوان فلو تناءى عنهم ... لسعوا لبغيته الى صنعـــاء

وعندما تضيق حياته بهم وتيأس نفسه من صلاحهم ومصافاتهم نجده يجنح الى الترحال عنهم معلنا رفضه لهم ، ولما هم عليه من الزيف والفساد ، وها هو في ذلك يحدثنا عن واقع الامس وكأنه يشتق من واقـــع اليـــوم تماما : ــ

ادن النجيبة للترحال وارخ لها ... زمامها واخلط الروحات بالبكر
وخطها الخط ارقالا اوال قلـى ... اوال لانادما واهجر قرى هجر
اما كنا لعبت اهل الفساد بها ... فدمروها بلا فكر ولا نظـــر
لم يبق من خيرها فضل ولا سمة ... عن العدو لذي نفـع ولا ضرر

بل انه حين لا يطيق المكوث في ديار قومه ينتجع قرى الشام وارض العراق يدعو على قومه وينبذهم

نبذا :

فبعدا لدار خيرها لعدوها وقوم باسو كل خط فنوعها

وبقول في احدى قصائده :

كم لمت قومي لا بل كم امرتهم بحسم داء العدى فيهم فلم اطع
فلم اجد بعد ياسي غير مرتحلي عنهم لهم اسلية ومتدع

هكذا كان شاعرنا يلتمس خلاصه من محنته وبلائه برفض العيش في دياره وبين قومه ، على ان العيوني رغم ذلك فهو لا ينبت عن قومه وديارة بتاولا ينقطع عنهم ويتمرد عليهم الا لانهم قومه وعشيرته يحب لهم الخير ويرجو لهم الصلاح وهو ان انتقدهم او ارتحل عنهم فما ذلك الا لانه في ذروة من ذرى التأسي التي تعتمل في وجدانه من جراء ما هم عليه من الحال التي لا يرضاها لهم ، ها هو في احدى قصائده يصور لنا اشتياقه لهم رغم الحزن والضيم الذي يلم به من اجلهم :

الا يالقومي والفتى هين يرتمي به الدهر يدعو قومه لا الاجانبا
كفى هزنا اني ببغداد مفرد عن الاهل القى كل يوم عجائبا
ويشتاقكم قلبي فاذكر دونكم مهامه لا اشتاقها وسباسبا
فيسهل عندي خوضها فيعن لي تذكر حالات اشبن الذوائبا

ومع اشتياقه اليهم فهو ايضا شفوف بعزهم ومجدهم يعز عليه ان تسيطر عليهم حياة ذليلة وهم من هم في المجد والقوة والفضل ، من اجل ذلك كثر شعره في الفخر بل وبنفسه هو ايضا ، وكثر شعره في النصح لهم عن مهاودة الاعداء ، وقبول الاوباش والمتملقين المخادعين الذي يعملون على ضرهم ..

ومما يلفت النظر في ديوان الشاعر العيوني انه كثيرا ما يبدأ مدائحه التي مدح بها امراء الموصل والاحساء والقطيف بالشكوى من قومه ومما ابتلي به من حساد الناس واوباشهم ، وبالتألم من ذلهم وهوانهم ومعاملتهم له بالضيم والعداء وما لقيه بسببهم من متاعب الدهر وغوائله ، وهو لا يرصد نفسيته الشاكية المتألمة في مدحه للامير الا من اجل التفريج عن كربته والتنفيس عن مأساته ومصابه ، كما ان رصده هذا لا يبعد ان يكون حالة استعطافية ابتدعها في مدائحه لما احاطت به حياته من ظروف قاسية جعلته يتجه الى هذا الامير او ذاك يطلب منهم الرجاء في صلاح احواله .

كذلك في مرثياته نراه يستفتح قصائده بتصوير حالات متصلة كل الاتصال بحياته وبذات نفسه ... ها هو يواجه حساده في مطلع قصيدته التي رثى بها الامير ابا علي محمد بن الحسين بن محمد بن علي :

ظننت حسودي حين غالتغوائله بريع الى اللقيا وتطوى حبائله

والحق ان هذه القصيدة تعتبر من روائع شعره ... ففيها يقرن حديثه عن الحسد والحساد وتصويره لتأثيرهم عليه بما ناله منهم من كثرة الاسى والايذاء .. يقرن ذلك بموضوع اخر يتصل به وهو ضيق حياته وقبح دهره الذي اهال عليه النكبات واغرقه في ظلام الكربة والغربة واحاطه بصروف وهموم جاءته من كل جانب يقول :

فجدعا وعقرا للزمان اذا استوى مطهمه في عينه وطهاملـه
وقبحا لدهر اصبح العسل فيله واضحت بزاة الطير فيه علاعله
فلا يفرح الجلف الهدان بنكبتي فما نالني من صرفه فهو نائله

وبعد ان يصور قضيته مع الدهر ونكباته نراه يتبع ذلك بموضوع آخر مرتبط به ، ويتصل بفكرة الموت حيث يعطينا خلاصة فلسفته ونظرته في الموت التي نجدها منبعثة من احساس صادق وتأملية متصلة بطبيعته النفسية التي امتزجت فيها مشاعر الغربة وحزن الحياة والامها بارادة الثورة والنقمة على اوباش عصره ومغبونيه الذين نكدوا عليه حياته :

ابالموت مثلي ترهبين وبالنوى وعاجله عندي سواء واجله
وللموت احلى من حياة ببلدة يرى الحر فيها الغبن ممنيشاكله
وما غربة عن دار ذل بغربة لو ان الفتى اكدى وغثت ماكله
ورب غريب ناعم وابن بلدة تبكيه قبل الموت فيها ثواكله

ويبدو ان تجربة الغربة قد سحقته وغلبت عليه ، فهو احس بها وهو في هيامه بأرض الله ، ثم وهو بين قومه وعشيرته التي انتبذته ولم تشعر به بل جعلته روحا غريبة ، ولعل هذا ما جعل تأمله في الموت تشاؤميا كسلفه طرفة بن العبد الذي طالما رجع فلسفة الموت والحياة في نفس هذه الديار ، وبعد كل ذلك نراه ينتقل انتقالا حسنا الى رثاء الامير حيث يقول :

ولا بد لي من وقفة قبل رحلة اذيل بها دمعي فينهل وابله
على جدث اضحى به المجدناويا بحيث ترى شط المزار مقابله

وهكذا فرغم طول القصيدة ورغم ما زخرت به من افكار متعددة الا ان الشاعر احتفل احتفالا جيدا بتسلسل هذه الافكار وباحكام بنائها حتى جاءت في هيكل فني متصل الحلقات يدل على رعاية الشاعر للوحدة الفنية في القصيدة .

والعيوني شاعر اعاد المجد الادبي القديم بحق ، ذلك انك حين تقرأ شعره تجده يذكرك بمدرسة زهير بن ابي سلمى الشعرية ، وذلك بما انتشر في اشعاره من نصائح صادقة الحس ومن حكم ومعان سامية تلمسها نابعة من تجربته مع الحياة وبما تجده ايضا من صفاء روح هذا الشاعر ودقة تصويره لما اعتلجت به نفسه واضطرب به وجدانه ، كذلك حين تقرأ شعر هذا الشاعر بما ينطوي عليه من تأمليات في الحياة والموت تتذكرمعها طرفة بن العبد البكري الشاعر الجاهلي القديم .

ثم ان العيوني في سيرته وفي شعره يذكرنا اكثر ما

يذكرنا بابي الطيب المتنبي اذ ان كلا الشاعرين فحلان لهما مكانتهما في قرض الشعر ، كلاهما طمع في الملك وعمل كل جهده في ان يصل اليه ، غير ان كلاهما قد مني بالخيبة فوشي به وسجن ، ثم ان كلا منهما ايضا اطلق سراحه فحاول الوصول الى غايته عن طريق الشعر وكلا منهما ايضا لم يفلح في شعر المديح ، فانقلب مرة واحدة الى الهجاء عندما يئس من حالة .. هكذا كان العيوني .. اقرب ما يكون الى الشعراء الفحول بما واجهه في معترك حياته ، وفي منهجه الذي ترسمه خلال اصطراعه بها ، وفيما انتهجه من منهج شعري .

وهذه بعض الابيات التي تذكرنا بتهويمات زهير في الحكمة : ــ

ومن يستمع في قومه قول كاشح ... احيت كما شاء الاعادي مقاتله
وما كل من يبدي المودة ناصح ... كما ليس كل البرق يصدق خاتله
وقد يظهر المقهور اقصى مودة ... واوهامه مبثوثة ومفاجله
ومن لم يقابل بالجلالة قومه ... اتاه من الاعداء ما قد يقابله
ومن لم يبح زرق الاسنة لحمه ... ابيح حماه واسترقت حلائله

واخيرا .. لعل في مجمل الابيات الشعرية التي اتينا بها من شعر هذا الشاعر ما يعطينا صورة واضحة لمذهبه الفني ، فهو سهل العبارة واضح الاسلوب جزل المعنى لا يتكلف ولا يتعسف في استخراج الصور بل يحرص كل الحرص على ان يكون شعره معبرا بصدق عما يجول في نفسه من خطرات ملتصقة بلحمه ودمه ، وهذا ما جعله لا يكلف بالصنع البديعي ولا يتخذه سبيلا في صناعة الشعر .

ب ــ ابو البحر ... جعفر الخطي

ظهر هذا الشاعر في منطقة الاحساء بعد ان تمخضت بها احداث واضطرابات سياسية جاءت بها رياح الهجمة البرتغالية المغيرة ، التي جعلتها تعيش وضعا مريرا ادى بها الى ان تغط في سبات عميق ، وتنعزل بسببه في صمت فكري رهيب ، ولكن ما ان تغلب الاتراك على البرتغاليين واستتب الامن والاستقرار في المنطقة حتى راينا ملامح حياة فكرية وادبية بدات تنشر ظلالها على هذه المنطقة .

وقد برز الشعر في هذه الفترة حتى راينا ابن معصوم في سلافته يخص هذه المنطقة بأحد عشر شاعرا وكان على راس هذه الحركة الشعرية ابو البحر جعفر الخطي الذي ينتمي الى بني عبد القيس كبرى القبائل العربية في هذه المنطقة .

وقد ولد الشاعر في قرية من قرى القطيف قضى فيها ايام حياته الاولى ، ثم جعل يتردد بينها وبين جزيرة اوال التي عاش فيها فترة من الزمن ، كما انه نسب الى ساحل الخط المشهورة بصناعة الرماح « الخطية » وسافر الى ايران واتصل ببعض اعيانها . وسكن في شيراز فترة من عمره . وفي اصفهان التقى ببهاء الدين محمد بن الحسن العاملي صاحب « الكشكول » ونشات بينهما مساجلات شعرية دلت على تفوقه وطول باعه في الشعر .. وقد توفي في ايران سنة ١٦٢٥م .

وقد كان لظهور هذا الشاعر اثر كبير في انتعاش الحركة الادبية في الاحساء وذلك بما جادت به قريحته من الشعر القوي الرصين ، فهو كما يقول محمد سعيد المسلم : « شاعر مجلي استطاع بعبقريته واصالته ان يتحرر من ربقة التقليد والعبث بالالفاظ التي كانت تسيطر على اداب ذلك العصر » (١) وعلى هذا فشاعرنا يمتاز بمظاهر فنية كان لها صدى خطير في ادب قلب الجزيرة العربية قاطبة . فهو يمتاز بالاصالة والوضوح . وترك المحسنات البديعية التي كان يعيث بها شعر شعراء العصر .. ولننظر الى شيء من شعره .. يقول ابو البحر :

هلا سالت الربع من سيهات ... عن تلكم الفتيان والفتيات
ومجر ارسان الجياد كانها ... فوق الصعيد مسارب الحيات
حيث المسامع لا تكاد تفيق من ... ترجيع نوتى وزجر حداة
ان القطيف وان شغفت بحبها ... وعلت على استيطانها زفراتي
اذ اين جزت رايت فيها مدرجي ... طفلا واترابي بها ولداتي
لاجل ملتمس وغاية منيتي ... اني اقيم بتلكم الساحات

فأوضح ما يبدو لنا في هذه المقطوعة خلوها من الالوان البديعية والزخارف اللفظية ، فالفاظه سهلة من غير أن تجد فيها ابتذالا ، وقوية من غير أن تجد فيها غرابة ووحشية ، كما ان هذه المقطوعة لا تخلو من حسن التصوير الذي يبدو في الابيات الثلاثة الاولى محاولة لاستخدام التصوير الحسي المادي الذي يريك مجر ارسان الجياد من جهة ثم يجعلك تصيخ السمع لما يبعثه ترجيع النوتى وزجر الحداة من جهة اخرى .. فهو هنا يشغل نفسه بحاستي السمع والبصر في سبيل استخراج الصورة الخاطفة ..

وفي الابيات الثلاثة الاخرى نجد محاولة للدخول الى الذات دخولا رفيقا ، فهو يشغف بحب القطيف ويحن ويشتاق اليها متى ما بعد عنها ، لذلك فهو يستبطن هذا الحب ويستشفه في هذه التهويمة الشعرية الرقيقة .. ولابي البحر اشعار اخرى في الحنين الى الوطن تدل على حب جارف وشاعرية مرهفة .. وهي من اروع ما قيل في عصره في الحنين الى الوطن .. كما ان له ايضا شعر في الخمرة يدل على ان نزعة نواسية كانت تجري في عروقه .. وله مدائح كثيرة مدح بها علماء ووجهاء عصره ..

وللشاعر قصيدة مشهورة في السمكة «السبيطية»

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

التي ضربته فشجت له وجهه اثناء عبوره في البحر ..

يقول فيها :

برغم المعالي والمهندة البتر ... دماء اراقتها سبيطية البحر
فويل ابن شنوابن اقصى وماالذي ... رمته به أيدي الحوادث من وتر
دم لم يرق من عهد نوح ولا جرى ... على حد ناب للعدو ولا ظفر
تحامته اطراف القنا وتعرضت ... له الموت يا بؤس الحوادث والدهر

وقد جمعت اشعار الخطي في ديوان طبع بايران سنة ١٣٧٣ هـ وضم جميع ما قاله من الشعر الذي كان بحق مظهرا رائعا للحياة الادبية التي انتعشت خلال القرن السابع عشر الميلادي في الاحساء .

جـ ــ جعفر بن باعلوي البيتي السقافي

شاعر حجازي واديب ناثر متفنن مجيد . نشأ نشأة صالحة في بيت عرف بالفضل والعلم والشرافة واشتغل بطلب العلم على يد والده وعلى غيره من علماء عصره . وكان شغفه بطلب العلم لا يوصف لذلك شغل نفسه بالسفر من اجل الطلب والاستفادة .فسافر الى الديار الرومية واليمنية ، ودخل مدينة صنعاء ثلاث مرات وبدا في شعره تأثر واضح بالثقافة التركية لكثرة اسفاره واحتكاكه بأهل الترك واجادته للغة التركية . وقد قال عنه صاحب سلك الدرر بانه « برع في نظم الشعر حتى كاد ان يكون كالمتنبي » ولعل في هذه القولة ما يدل على المكانة الشعرية الكبيرة التي يتميز بها هذا الشاعر .

فهو في الحقيقة شاعر اجاد في جميع الاغراض التي طرقها في شعره . وبرز في الوصف الفني . فكانت له عدة قصائد في ذلك تدل على منزعه في وصف واقعات الحياة وصورها التي تشد شاعرنا هذا بما فيها من تفرد وبما تنطوي عليه من معان ساخرة يتخللها الشاعر لنقد المجتمع من حوله . .ومن شعره في ذلك قصيدة أوردها الاستاذ عبد القدوس الانصاري في مجلة « المنهل » يصف فيها ثغر « ينبع » ويكشف لنا في سخرية وخفة رائعة ما كان عليه الثغر من الوساخة والاهمال حتى أصبح مسكنا للفئران والبعوض والبراغيث والناموس . يقول في مطلعها :

نزلنا بمرسى ينبع البحر مرة ... برأى ما علمنا طباعه
نقارع من جند البعوض كتائبا ... وفرسان ناموس عدمنا قراعه

ثم يقول في تندر يعري به اهمال الدولة :

وكم اكلنا نحلة وذبابة ... وفارا بلعنا رجله وكراعه
وماء زلاع صار معجون غلة ... شربناه كرها وادخرنا زلاعه

ويستمر في تصويره الساخر فيصور لنا كيف انه نزل في الثغر ، فتنازعت على لحمه ودمه جميع الحشرات :

سلوا عندمي ناري البعوض فانني ... علمت يقينا انه قد اضاعه

ويصف ترنم الناموس من حوله في كثرته :

اذا رنم الناموس حولي اعلنى ... وصدع قلبي بالسجوع وراعه

وهكذا يحيلنا الشاعر امام صورة تنبعث منها الخفة والسخرية بطريقة قل من انتحى نحوها من شعراء العصر .. وقد ذكر عبد القدوس الانصاري في مجلة « المنهل » نماذج مختلفة لهذا الشاعر في الغزل وفي المدح والمجون وفي الوصف السياسي والاجتماعي . كما شاعت روح الحكمة في كثير من شعره .. من ذلك قوله :

تحفظ على اهل الحجر من ذوي التقى ... فان التقى للمتقين زمام
فمن تكن فيه مع الله ذمة ... فليس له في العالمين ذمام

ورغم اجادة الشاعر وبراعته في نظم الشعر الا ان له ابتذاليات جاءت في استعمال بعض الالفاظ العامية والالفاظ التركية وفي بعض التقريرات التي لا تجد فيها رواء الشعر ، وربما كان ذلك بسبب ما فعلته هيمنة الثقافة التركية وتفاعل الشاعر بها الى حد كبير .

د ــ محمد بن سعيد باقشير

اديب شاعر من الطف ادباء الحجاز واكثرهم نوادر وتحفا واكثرهم ميلا الى الابتعاد عن التكلف والزخارف اللفظية والتصنع البديعي ، وقد وصفه ابن معصوم في سلافته بأنه اديب بارع لا يتكلف النحو العروض وانه ذلل جوامع الكلام فجاء نظمه السهل الممتنع ، ومن شعره الذي حاول فيه ان يتحرر من قيد التقليد والزخرف والبديع يصف امة له سوداء :

ابت صروف القضا المحتوم والقدر ... الا اشابة صفو العيش بالكدر
وان من نكد الايام ان قربت ... دار الحبيب ولكن شط عن نظري
بزمن سطا البين مالوبالجبال غدت ... عنها وبالسبعة الافلاك لم تدر
نوى الاحبة والشوق الشديد ولي ... جوى تجدد مهما انقضى فكري
وزادني الدهر هما لا يعاد له ... هم بسمراء الهتنى عن السمر
زنجية من بنات الزنج تحسبها ... خطى تجسم جثمانا من البشر
كان قامتها ليلى ومنحرها ... ذيلي ينالك من طول ومن قصر
لها يد ألفت حطب الكسار ولو ... باتت تحوط بالهندية البتر

والقصيدة طويلة تدل على قدرة الشاعر وتفوقه في الوصف الفني .

النثـــــر

على الرغم من أن الشعـــــر قد تفوق على النثر ومثل الجانب الاكبر من الحياة الادبية . الا ان هنـــاك حقيقة لا بد من ذكرها في البداية . وهي ان فن النثر كان ضرورة اقتضتها طبيعـــة الظـــروف السياسيـــة والاجتماعية والدينية والفكرية . فالحياة السياسيـــة في قلب الجزيرة كانت موزعة على شكـــل حكومات وامارات مختلفة من منطقة الى اخرى . وكانت هـــذه الامارات في بعض المناطق تتعاقب في فرض نفوذهـــا وسيطرتها تبعا للقوة والضعف التي تكون عليها الامارة وقد تطلب هذا النمط من الحياة السياسية ان يكـــون هناك لدى الحكام والامراء كتاب يتصدرون دواوينهم . وينوبون عنهم في انشاء الرسائل المختلفة ، كلما اقتضى الامر الى شيء من ذلك .

كذلك فان كثرة الحروب التي خلفها الاضطراب السياسي دعا الى قيام الخطباء في المساجد والاماكن العامة ، وذلك لبث روح الحماسة بين الناس واثارة الحمية واستنفار العزيمة في نفوسهم ، ولشرح قضايا الجهاد وضرورته لامن البلاد واستقرارها واذا كنا لـــم نقف عند هذا النوع من النثر في قلب الجزيرة العربيـــة لقلة المراجع التي وقعت بين ايدينا ، فلا شك انه كان موجودا منتشرا بشكل واسع .

كذلك النثر الديواني الذي كان مطلبا ضروريـــا للحياة السياسية في قلب الجزيرة العربية ، لانه بمثابة اللغة التي يتفاهم بها الحكام والامراء في ذلك العصر ويشتمل هذا اللون من النثر على التواقيع والتقاليـــد والمناشير الرسمية وكتب الفتوح وكتـــــب التهاني والجهاد . وهذه الامور لا شك انها كانت مما يعنى بها حكام امارات قلب الجزيرة العربية في تلك الفترة .

اما الحياة الدينية والاجتماعية فقد اسهمـــت اسهاما كبيرا في انعاش الفن الخطابي والنثر بصـــورة عامة فنحن نعرف بان العلوم الدينية سيطرت علـــى الحياة العقلية في تلك الفترة وتداخلت مع فنون الادب الاخرى . حتى اننا لا نجد شاعرا او اديبا الا وهو خطيب . قائم بالتدريس او قائم بالقضاء او الفتيا او ما الى ذلك وما دام الاتجاه المحافظ والمنزع الديني القوي قد سيطر على حياة الناس . . فلا بد أن تظهر حاجـــة هؤلاء الناس الى الوعاظ والخطبـــاء الذين يقومون بتعليمهم أمور دينهم ودنياهم ، والذين يشرحون لهـــم قضايا حياتهم اليومية ، ويقفون معهم على احـــداث العالم الاسلامي ، في جمع الاصقاع وما تمخض بـــه بلادهم من حوادث وفتن هذه العوامل كلها ادت الـــى بروز فن الخطابة من بين فنون النثر كلها .

ومن بين من عرف بخطبه العديدة تاج الدين بن أحمد المتوفى سنة ١٦٥٥م الذي كان امام الانشـــاء وينبوع البلاغة في عصره . وله ديوان رسائل جمع فيه مكاتبات ومراسلات وخطب عديدة . . كذلك عبد القادر الطبري ، وعبد الرحمن المرشدي وعبد الملك العصامي وغيرهم .

أما النثر الوصفي فلم يشهـــد ما شهده الفن الخطابي من انتعاش ، وان كان قد اهتم به عـــدد من الادباء الاعلام في تلك الفترة . مثل محمـــد كبريت الحسيني الذي برز في فن الرحلات وكتب رحلتـــه المشهورة « رحلة الشتاء والصيف » وهي بحق تعتبر كسبا ادبيا لقلب الجزيرة العربية لما جاءت به من اثر كبير وفائدة عظيمة . . كما برز في التاريخ والتراجـم كثير من الادباء الذين ارخو للعصر واشتهر من هؤلاء ابن معصوم بكتابه « سلافة العصر في محاسن الشعراء بكل مصر » والمحبي في كتابه « خلاصة الاثر في اعيان القرن الحادي عشر » وعبد الملك العصامي المتوفى سنة ١٦١٧م صاحب التاريـــخ المشهور المسمى « سمـــط النجوم الغوالي في أنباء الاوائل والتوالي » والاديـــب الرحالة عباس بن علي بن نور الدين الموسوي الـــذي اشتهر بكتابه « نزهة الجليس ومنية الاديب الانيس » وهو من ادباء القرن الثامن عشر . . ويوجد غير هؤلاء ايضا ممن كتبوا في التاريخ بأسلوب مسجوع .

أما المقامات الفنية فقد قل وجودها ، وان كنا قد وجدنا كثيرا من ادباء هذه الفترة من انكب على هـــذه المقامات فحفظها عن ظهر قلب ، وذلك حبا وشغفـــا بهذا اللون من النثر الفني ، وممن كتـــب في المقامة

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

عبد القادر بن محمد الطبري الذي كان متصرفا في النظم والانشاء وله مقامة سماها « درة الاصداف السنية في ذروة الاوصاف الحسنية » .. وكذلك عرف أدباء قلب الجزيرة العربية الوانا من النثر الذاتي كالرسائل الاخوانية والرسائل الوعظية ذات الطابع الديني .

مظاهره الفنية والاسلوبية

يمثل مذهب الصنع البديعي والزخارف اللفظية طابع العصر الذي نتحدث عنه ، ليس في قلب الجزيرة العربية فقط بل في الحواضر العربية ايضا ، وقد رصعت بالوان النثر الفني جميع أصناف البديع ، واصطبغت بها جميع ضروب الزخارف اللفظية حتى انهكتها وطبعت فيها ملامح الضعف والتكلف . اللهم الا في القليل النادر الذي نجده عند من تشربت روحه بثقافة واسعة وادراك كبير لفنون العصر .

ولم تخل أنواع النثر الفني من هذا التصنع البلاغي بل انتشر فيها جميعا حتى الوان النثر الوصفي — من تاريخ وتراجم ورحلات — لم يخل من سيطرة البديع بل انطبع به وصار سمته الاسلوبية في السرد التاريخي والوصف القصصي .

ومن المظاهر الفنية لادب النثر في قلب الجزيرة العربية الاحتفاظ بالاسلوب التقليدي في كتابة النثر ، فالخطب الدينية ظلت على اسلوبها المعروف .. فهي تبدأ بحمد الله والصلاة على نبيه .. ثم تتجه الى الناس في موضوعات دينية شتى حتى ينتهي الخطيب من الخطبة الاولى فيجلس قليلا ثم يقوم للخطبة الثانية التي يدعو فيها للخليفة أو للامير ويختمها بالدعاء لسائر المسلمين .

وكذلك بالنسبة للنثر الديواني بجميع الوانه .. حيث كان كتاب دواوين الانشاء يراعون الشروط الفنية المطلوبة في مثل هذه الكتابة من براعة الاستهلال ومراعاة الحال والموقف ، وما تقتضيه المناسبة وغير ذلك من اصول النثر الديواني .. كذلك الرسائل الاخوانية ظلت محتفظة بشكلها الفني ، وبموضوعاتها التي تتحدث فيها ، ولم يطرأ عليها اي تغيير ، فهي تتحدث في الصداقة والاخوة والقرابة والاعتذار والعتاب والتعزية والتهنئة وغير ذلك .. كما ظلت الطريقة التقليدية في البدء والختام متبعة في هذا اللون من النثر.

ومن المظاهر الفنية التي اختص بها النثر في قلب الجزيرة العربية كثرة الاستشهاد بالابيات الشعرية في الرسالة الواحدة .. وان كان الاستشهاد بالشعر في النثر العربي مسألة تقليدية معروفة .. الا انه في نثر قلب الجزيرة انتشر بصورة ملفتة للنظر ولعل ذلك بسبب شيوع فن الشعر وسيادته على الحياة الادبية وشغف العلماء والمثقفين بحفظه وروايته والاستشهاد به .

واستشهادهم بالبيت الشعري يأتي بطريقة تبعث على الاعجاب ذلك انهم يراعون في البيت الشعري اقتضاء معناه لمعنى الفكرة او المناسبة في الرسالة أيا كان نوعها وهذا مما يجعل البيت الشعري يدخل بين ثنايا النثر في انسجام والتئام .

نموذج من أدب النثر

وهذا النموذج الذي سنعرضه حرصنا في اختياره على أن يكون جامعا لمعظم المظاهر الفنية التي عرف بها النثر في تلك الفترة . .كما جعلناه من النثر الذاتي الوجداني لانه افضل ما كتب فيه أدباء النثر في قلب الجزيرة العربية . .ونموذجنا عبارة عن كتابين كتبهما علمين من اعلام الادب في مطلع القرن السابع عشر وهما الشيخ عبد الرحمن المرشدي .. والسيد عمر ابن السيد عبد الرحيم البصير الحسيني المكي .. ومناسبة الكتابين وفاة أحد اخوة الشيخ عبد الرحمن حيث كتب عمر السيد معزيا له في وفاة اخيه .. يقول:

« انا لله وانا اليه راجعون .. ما شاء الله كان وما لم يشأ لا يكون .. اني معزيك لا أني على ثقة من الخلود ، ولكن سنة الدين احسن الله لنا ولكم العزاء في المصاب وأعظم لنا ولكم الجزاء والثواب ، وألهمنا واياكم الصبر المستحيل ولا أقول الشاق . ذهابا الى جواز التكليف بما لا يطاق ، فلعمري انها الصاخة التي أجدبت رياض الانس وأمحل مخصبها ، وأقفرت بها ربوع المسرة ، وضاق رحبها ، والخطب الذي يجم عند التسلية عنه نطق الخطيب، اللسن اللوذعي، والعضب الذي يعترف باستحالة مزايلة ازالته حذق الطبيب ، الفطن الالمعي ، بيد أن في مشاهدة صدور الافعال من مصادرها ، ومعانيه ظهور الاسماء بمظاهرها ، ما يمنع الجزع الورع عن الاسترسال ، وان جعل غرضا لنبال الداء العضال ، ويمنع المقالة المنيب الاواه سربال التحقق تحقيقه .. قل كل من عند الله .

وخفف عني ما اقاسي تحققي بانك انت المبتلى والمقدر

على أن الحكيم اذا أحدث البصر وحقق النظر وعرج عن حضيض المجاز الى ذروة الحقيقة ، وركب سفينة النجاة مستمدا من المبدىء الفياض تأييده وتوفيقه ، اعترف بان ذلك بالنسبة الى تلك النفس الزكية ، واللطيفة القدسية .. من أكل النعم وأفضل القسم ، اذ هو في الحقيقة رجوع من الغربة الى

الوطن ، وهجوع بعد طول الارق وتفول بعد نيل الامال من اقتناص شوارد المعارف ، وتزكية الاخلاق والاعمال .

وكانها ذكرت عهودا بالحمى ومنازلا بفراقها لم تقنع

وصلى الله على سيدنا محمد وآله » .

وقد راجعه الشيخ عبد الرحمن المرشدي بقوله:

« يقبل الارض حزين خانه صبره ، وحانه دهره، وأسيف عضده ، وكبد الحين كبده ، لم تزل الحسرات عليه تتوالى ، والزفرات فيه تتعالى ، فدمعه المهراق لا يكف اذ يكف ، ووجوده المحراق بمحاريب ضلوعه معتكف ، أضحى فريدا عن الاليف ، ووحيدا عن الحليف ، لم تمر ساعة الا بعد أن يتجرع من الم الفراق اعظم غصة ، ولم يتجاوز من لحظة الا بعد ان يسهم له فيها من الهموم بأوفر حصة ، حالة اجار الله منها العدا ، وأبعد عن قدر مداها المدا ، لم يزل الحزن فيها يتجدد والاسف بمعاهد جوانحه يتمهد ، والتذكر في كل آونة يتزايد ويتاكد .

يذكرني طلوع الشمس صخرا وأذكره لكل غروب شمس

قرح الدمع اجفاني ، ولم أوفه بذلك فما اجفاني .

ولولا كثرة الباكين حولي على اخوانهم لقتلت نفسي

غير أني حين اراجع الوجدان ، وأرى بكاء الاخوة على الاخوان ، اتوهم تبريد الغلة وأتظنى زوال العلة .

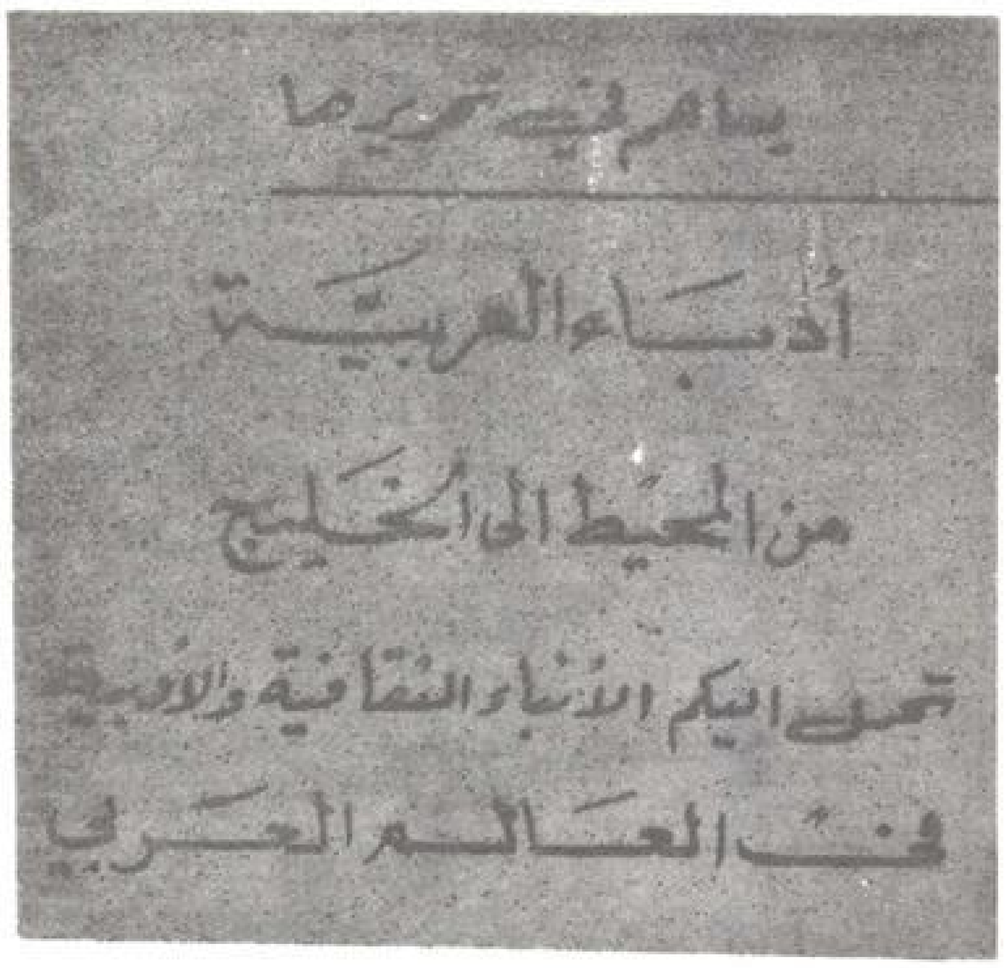
وما يبكون مثل اخي ولكن اسلي النفس عنه بالتاسي

فالمسئول من الانفاس المتصل سندها بالانفس الزكية ، المرتفع شأوها الى ذرى الشؤون العلية ، ان تلحظ هذا المصاب بالدعاء ، بالهام الصبر كيلا تتكرر المصيبة ، وأن يعوض ذلك الشاب أعظم الاجر من عنفوان الشبيبة ، وأن يرفع له في عليين من الدرجات الى الفردوس طريقا مع النبيين والصديقين والشهداء وحسن اولئك رفيقا » .

« تمت الدراسة »

مراجع البحث

- سلافة العصر في محاسن الشعراء بكل مصر ... لابن معصوم
- خلاصة الاثر في أعيان القرن الحادي عشر ... للمحبي
- سلك الدرر في اعيان القرن الحادي عشر ... للمرادي
- نزهة الجلس ومنية الاديب الانيس ... للحسيني الموسوي
- تاريخ الجبرتي .. الجزء الاول ... للجبرتي
- الضوء اللامع ...
- وفيات الاعيان ... لابن خلكان
- البدر الطالع ..
- الاعلام ... لخير الدين الزركلي
- الدرر الكامنة ..
- قلب جزيرة العرب ... فؤاد حمزه ـ مكتبة النهضة الحديثة
- ديوان النبط ... جمع خالد الفرج
- ديوان علي بن مقرب العيوني .. منشورات المكتب الاسلامي بدمشق
- ساحل الذهب الاسود .. محمد سعيد المسلم .. مكتبة الحياة بيروت
- مجلة المنهل ١٨ ـ ١٩ ـ ٢٠ .



خاطرة

فارس عبدالله
الوقيان

« هذا الانسان ما اصغره ! .. »

اذا كان هذا الكون ، كما يقول العلماء يتكون من مجرات تحتوي على مجموعات شمسية وهذه المجموعات الشمسية بدورها تحتوي كواكب ، والكواكب لها اقمار تدور حولها ، فما مدى اتساع هذا الكون ...

نحن على هذه الارض ، التي نتصارع عليها ونقتتل ، سكان كوكب يتوسط كواكب مجموعتنا الشمسية ، تابعون لشمسنا ، دائرون في مدار حولها ضمن كواكب تكبرنا وتصغرنا في حجمها ... وفي حين ان ارضنا لها قمر واحد فان بعض كواكب مجموعتنا الشمسية لها اقمار عدة يصل بعضها الى اثني عشر قمرا ...

نحن في كوكبنا الارضي نمثل الوسط . فموقع ارضنا بالنسبة للشمس متوسط فارضنا لا هي بالحارة ولا هي بالباردة ، فلو كنا على سطح احد الكواكب الاقرب منا للشمس لاحترقنا لشدة الحرارة ، وكذلك الحال لو كان كوكبنا من الكواكب البعيدة عن الشمس اذ لتجمدنا من البرودة ... واذن فكوكبنا وسط .. وخير الامور اواسطها ...

ونحن بني الانسان ، او امة الوسط ، لو اردنا ان نتصور حجم هذا الكون فعلينا ان نقوم بعملية حسابية كبيرة .. فعلينا ان نضرب عدد الكواكب حول كل شمس ثم نضرب ذلك بعدد الشموس في كل مجرة ، ثم نضرب العدد الناتج بعدد المجرات ... ونحن ان اجرينا تلك العملية الحسابية فسنخرج برقم هائل هائل يجعلنا ندرك رحابة الكون وضخامته واتساعه ..

الغريب بعد **كل ذلك اننا نحن بني البشر ... اهل هذا الكوكب لا زلنا نرى اننا نحن اسياد هذا الكون ... ليس هذا فحسب بل ان بعضنا يظن انه هو الذي يحرك هذا الكون وبامكانه ان يوقف حركته .**

ان العلم حين فتح للانسان ذهنه واراه بعض مظاهر اتساع الكون كان كالذي يخرج طفلا لم يعرف في حياته الا منزله الصغير ، الى عاصمة كبيرة مزدحمة، يكتشف الطفل بعدها ان منزله لم يكن الا ذرة رمل في ساحل بحر طويل ممتد على مد البصر ..

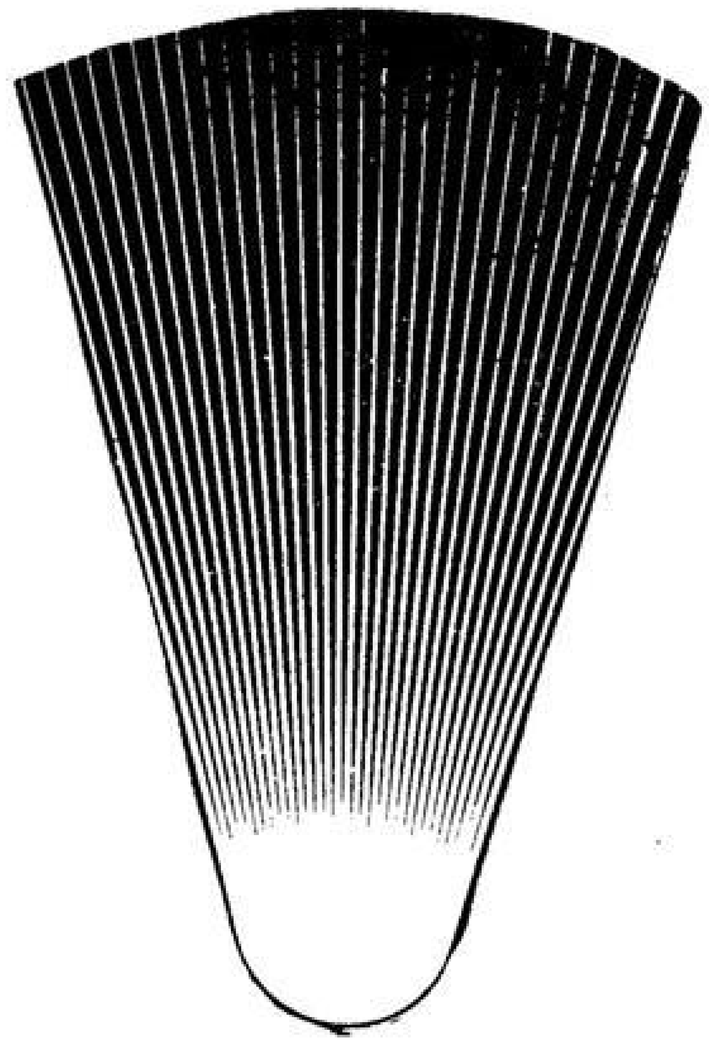
هكذا الانسان ... فهو وارضه ليسا الا ذرة في هذا الكون الشاسع !!

قد يغتفر المرء للامم البدائية التي لم تعلم من حقائق العلم وعلم الفلك خاصة قدرا معقولا ان تظل جاهلة للكون ورهبته اما ان يجهل الانسان المتحضر ما يدور حوله وان يغمض عينيه وان يسد اذنيه ، فذلك امر عسير ...

ان انسان هذا العصر مطالب بان يمد بصره وان يعرف موضعه في هذا الكون الرحب ... وان يتصور ذرة الرمل الارضية ونسبتها الى الكون ، وبذلك يعرف موطىء قدمه ويتفكر فيما حوله ... ثم بعد كل ذلك .. اليس الانسان صغيرا ... صغيرا ؟!

الكويت ــ فارس عبدالله الوقيان

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com



لوحتان عن

متاليات ترفض الانسجام

شعر
احمد عنتر مصطفى

الناس « نيام » ما شبعوا ..

فاذا جاعوا انتبهوا ...

اللوحة الاولى : نهارا :

في البدء كان الخوف (**مبعوث الطفاة**) ينـــادم
الهمس (**اكتشاف السلطة الغراء**) منطويا على المقهى
يبادله الكؤوس
ويمر ظل .. تخمد الانفاس ... تزدرد المقاعد جالسيها
(هذا زمان المخبر السري ، والشرطي ، والهراوة الغضبي

تدير حوارها فوق الرؤوس

تتقيأ الطرقات أبدانا لها بصر .. واسماع .. وشيء
كالانوف تسير في اللا وعى ساهمة مبعثرة الارادة
النيل يلعنكم .. وهذي الارض تطلب حقها فيكم ..
وتنتظر الولادة ..
عانت مخاض الكبت والصمت الذي مسخ الرجـــال
طلاسما تسعى ، واخشابا ، وأصناما مسندة تمـــر
بوجهها الايام عادة ..
الارض يا من فوقها تمشون تلفظكم .. قفي يا أرضنا
الممرورة الخضراء وابتلعي الشخوص فطالما امتصت
مشاعرها الوسادة
(تهز سنبلة تعانقها العيون الجائعة ..
فيدوسها الجندي مؤتمرا بارهاب القيادة !!)
لملمت وجها .. هشمته الريح .. بعثرت الملامـــح
كالشظايا .. ،
سرت احذية الجنود تغـــوص في قلبي .. وتأويني
الهتافات الطريده
عبر النزيف وقبضة الشرطي ... والجثث البليدة
فوق التراب تدب ..
(مصر تئن عارية على حد السيوف القاطعة
كان المماليك البواسل يفقاون عيونهـــا ،
يتدحرج النهدان في الوادي كراتمن لهب ..
وتئن مصر الوادعه ..)
مصر الدموع المشرئبة للمناديل البعيدة
مصر الغد المخنوق والامل المحاصر في عيون الجامعة
مصر الكفور وكسرة الفلاح والخرق التي تســـعى
العظام بهـــا ،

وتحلم بالسيادة

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

هي ليست البلد الذي يهتز ارداقا وأزياء
وتنهب ارضه العربات او يفتر اضواء
وتلهيه المباسم في الوجوه الخادعة
. . . . . .
. . . . . .
. . . . . .
. . . . . .
وقفت امام المتجر الجذاب لاهثة العيون
(.. كانت تبعثر في مسامع زوجها المترهل الابعاد
ثرثرة معاده
يبدى اهتماما اذ يقطب حاجبيه متابعا بالوهم سيقان النساء
محاصرا بعيونه ارداقهن ، وكانت الحسناء تشغله ليدفع
غافلا ثمن القلاده !!)
والمركبات تمر بالخوذات يملأها الجنود الظافرون
وكأنهم فتحوا الحصون !!

●●

اللوحة الثانية : ليلا :

يتسلل القمر الاجير الى السماء الداكنة
وتدب فوق سكونها اقدامه ، وتلوح خوذته ، فتنسحب
الافاعي ــ الجند تقتحم البيوت الآمنة
ويفتشون الاعين الوسنى عن الحلم المقاوم
(يشحب المصباح .. أم عند باب الدار تبكي .. اخوة
يتساءلون .. وقصة أخرى .. وأوراق مبعثرة) ..
وينصرفون تضطرم العيون الساكنة
. . . . . .
. . . . . .
. . . . . .
. . . . . .
كان السكارى يحلمون بها .. وكان الليل يوغل حين
شقت ثوبها **(أسماء) (١)** .. كان البرد ينهشها يراقص
جسمها المقرور
في اسماله السود الفقيره
والمركبات تمر تطحن ظلها الممدود فوق الارض يؤنسها..
تخبىء في ملابسها الطعام..وقطعة الصوف ــ الغطاء..
وكان **(عبدالله (٢))** لاغار سوى بيت الصديق يضمه
عبر المتاهات الضريرة ..

وتراقصت في سمعها المذعور أصداء أسيره :
جادك الغيث اذا الغيث همى
يا زمان (الامن) بالاندلس
انني أبصر شيئا وبهما
ما الذي يجري هنا في الغلس
نزعوا مني وحيدي بعدما
فرقونا بحراب الحرس !!
. . . .
سارت وكان الليل تدميه البذاءات المثيرة
ووراءها راحت تغمغم رجل سكير .. يراودها ..
ويعرض دفء شقته الوثيرة !!
. . . . . .
. . . . . .
. . . . . .
. . . . . .
يتناثرون بداخل المقهى جزائر نافرات في البحار
الخوف يفصلها .. يجيء الليل تحشر في البيوت
والصمت فاكهة .. فتحلم في خفوت
وربما رصدت بقايا الحلم اجهزة المباحث ..
(يغسلون جفونهم في الصبح تنساب المرائى في
سحابات البخار) ..
يستقبلون على المكاتب يومهم .. ويثرثرون ..
(تضيء أسياف البطولة في الحوار ..)
لا شيء يبقى غير أن يمتد في العينين نسج العنكبوت
أواه !! شيء ما هنا .. قد كان حيا ..
كم يموت !!

احمد عنتر مصطفى
القاهرة



(١) ، (٢) اسماء ابي بكر وعبدالله الزبير
وقصتهما اغنى من أن تذكر .

(٣) جادك الغيث اذا الغيث همى .. موشح اندلسي معروف
وقد حولناه الى مرثية عصرية

موقف النقد من قضية التعبير

في القصيدة العربية المعاصرة

د. عناد غزوان اسماعيل

الاستاذ المشارك في جامعة بغداد

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

من البديهات المسلم بها في الدراسات الادبية الحديثة أن النقد هو فن دراسة الاساليب وتمييزها وصولا بها الى تقويم فني قائم على اساس التحليل والموازنة . والاسلوب ، في هذا التحديد الموجز ،يعني البحث عن جذور التعبير الذي تخلفه التجربة الادبية بأبعادها المختلفة : النفسية ، الاجتماعية ، العقائدية، والحسية الوجدانية . الامر الذي جعل مهمة النقد علمية فنية اكثر من كونها تأثرية ذوقية ، فتشعبت اتجاهاته وتعددت مذاهبه وتباينت مقاييسه وموازينه تبعا لاختلاف اساليب التجربة الادبية ذاتها من جهة ولارتباط الادب بحركية المجتمع وتطوره الطبيعي من جهة اخرى . لذلك فان مسألة الاختلاف في النتيجة والتقويم الفني تبدو ، في مثل هذا المجال ، مسألة طبيعية وخاصة اذا كانت قد اعتمدت على مقياس نقدي منهجي والا فهي ضرب من العمومية والشمولية التأثرية التي سرعان ما يذوي اثرها وتتلاشى اهميتها في واقع الدراسات النقدية .

ان القصيدة العربية المعاصرة تعاني ازمة في التعبير متأتية من سوء فهم عام للحرية اللغوية وجهل مفاهيم بلاغة المدعاة يكمن في مصطلح تعبيري شائع هو (الغموض الفني) .

فالغموض الفني في العملية الشعرية ليس معناه فناء الوضوح والابانة في التعبير عن التجربة الادبية — الحسية والمعنوية — وانما معناه تكثيف الصور الفنية في التعبير عن تلك التجربة دونما استبداد من الفردية المستغرقة بالرمز والطلاسم بحيث يتعذر على القارىء فهم تلك التجربة واخيرا الفشل في خلق الاستجابة الفنية والذوقية في نفسه ، الاستجابة التي يخلقها تيار الوعي القائم على ادراك ماهية الرمز وبعده الفني من خلال انسجام موضوعي بين الشاعر — في تجربته — والقاريء في مدى فهمه واستيعابه للنص دون أن يفقد ذلك الغموض شخصية صاحبه ويبدد ابعاد تجربته في متاهات من العبثية والفراغ والانعدامية تقربه من المذهب المعروف « بالدادية » حين حدده احد دعاته وفنانيه بقوله « اننا نزدري كل شيء ، ولا نعتقد في اي شيء ، فقد لفظنا كل ما يتعلق بالماضي ، وهذا هو ما اطلقنا عليه اسم الدادية ، وهي لا تتصل بمذهب معين أو اتجاه اجتماعي خاص ، فهذه

الاتجاهات والمذاهب لها برامجها المحددة . أما بالنسبة لنا فاننا نهدف الى الانعدامية ، شعارنا اللاشيئية ورمزنا هو الفراغ الاجوف » (١) . ان الشاعر العربي المعاصر اذا قدر له ان يكون « داديا » فهذا يعني أن تجربته تبدو ضربا من « المسخ الادبي » الذي لا تعرف له هوية قومية او انسانية . وما احوجنا الى الاحساس القومي الانساني في تجاريب قصيدتنا المعاصرة في مثل هذه الظروف التي تحتم على الشاعر المعاصر ان يكون ربيبها في الوقت الذي يستطيع أن يستمد من تراثه الشعري القديم العريق اكثر من احساس وتجربة وفن منظور عصري انساني لهذا التراث ؛ لا ان يقطع صلته به ؛ عن قصد وجهل . وليس عن روية وامعان نظر وتعميق احساس . وقد يبرر الشاعر العربي المعاصر غموضه الفني تبريرا توفيقيا حين يقرر انه لا يهدف الى « الانعدامية » ولا يتخذ « الفراغ » اساسا له في قصائده وتأملاته الشعرية ؛ بل يعتمد الاعتماد كله على ما اصطلح عليه في الاوساط الادبية ؛ « بالحس الخالص البعيد عن اية نزعة جمالية » وهو بذلك يضفي على تجربته وشخصيته الضائعة صفة « السريالية » في التعبير عن خلجات نفسه غير المرئية دونما اكتراث بالادراك وفق تحديد اندريه بريتون منطوق السريالية في نشرته التي اصدرها عام ١٩٢٤ اذ قال : « السريالية هي التعبير السيكولوجي عن احساساتنا سواء بالرسم او الكلام . ومن الامور المسلم بها انه يجب الا يخضع هذا التعبير لسيطرة الادراك » (٢). وقد يبدو الشاعر العربي المعاصر تائها ، غريبا ، ضائعا بين هذه المذاهب الادبية التي وجدت في تربة غير تربته وبيئة غير بيئته ، معتقدا أنه قد حقق الكمال وبلغ الغاية في التجديد والاصالة متناسيا ان هذا الاعتقاد قد جره من حيث لا يشعر الى تبني « غموض مقصود » مرده الى فقدان الثقة في معانيه واضطراب الفكرة في تجربته لانه في مثل هذه الحالة لا يختلف عن اولئك الادباء الذين وصفهم مرة سومرست موم بقوله «انهم لا يفكرون قبل الكتابة وانما هم يفعلون ذلك اثناءها ، كان القلم يخلق الفكرة » . وبذلك يخنق الشاعر العربي المعاصر — ان لم يكن قد أخفق فعلا في كثير من محاولاته — في أن يكون مفكرا صادق الحس « ينقل الينا حقيقة النفس الانسانية وجوهرها » (٤) بعيدا عن التقليد السلفي العقيم او التجديد المستغرق في الغموض والعدمية . . ان الشاعر المعاصر مطالب باثبات موقف شعري أصيل وهو بعد ذلك حر في أن يكون من يشاء شريطة الا يبدد التجربة حين تغدو — ومن خلال هذا الغموض اللامنتمي — ضربا من الوأد الادبي المقصود والعقم الفكري البارد ؛ في الوقت الذي يسعى فيه الاديب المعاصر الى تجسيد دوره الايجابي في الحياة حين يكشف عن خفايا النفس الانسانية وينفذ الى اسرارها البعيدة والمعقدة بالاضافة الى ايمانه الخالص بتعميق الشعور بالحياة والدفع بها الى تحقيق الطموح الانساني في تحقيق العدالة وتشخيص أمراض وعلل المجتمع المصور في التجربة الادبية — موضوع الصورة والتعبير — ومن خلال الرؤية الصريحة الواضحة للمجتمع وليس من خلال الرؤية الغامضة المعقدة التي تتلاشى فيها فرصة البحث عن الطموح وتأصيل وجوده من خلال التجربة الجماهيرية او الشعبية او النظرة الواقعية الى الفن والادب .

اذا كانت مهمة النقد « تنحصر في مزج الاسس والقوانين والمذاهب الفنية بالمضمون الاجتماعي الذي يرتكز عليه النقد كدعامة قوية من دعائمه العديدة » (٥) فان الغموض الفني يلعب دورا مهما من حيث التعبير عن « المضمون الاجتماعي » الذي يفترض فيه ان يكون خلاصة تجربة او مجموعة تجارب لشعب من الشعوب او امة من الامم . ولكي يسمو المضمون الاجتماعي الى حد الفعل والتأثير والاستجابة يشترط في التعبير عنه وجود مثل تلك الحدود على اقل تقدير ، علما أن المضمون الاجتماعي لا ينفصل عن نظرته الانسانية أو مضمونه الانساني . فالقصيدة التي تعالج مشكلة اجتماعية محلية لا بد لها ان تفتح كوة وجدانية على المضمون العالمي او الانساني ايمانا من الشاعر بانه يعانق انسان العصر اينما وجد نظرا لان « المشكلة المحليه التي لا تتصل من بعيد او قريب بمشكلة انسانية عامة لا تليق بأن تكون مشكلة مجتمع مهما يكن امر هذا المجتمع » (٦) .

لا شك أن المضمون الاجتماعي في القصيدة هو لون من الوان « المضمون الدرامي »، على حد تعبير بعض النقاد الاوروبيين ، وهذا يعني بطبيعة الحال البحث عن الروابط التي تؤلف وحدة القصيدة الفنية حيث تلعب الرمزية ، في ايحائها بديلا عن الافصاح وفي تلميحها بديلا عن المرض ، او الغموض الفني دور معامل الارتباط بين خبرات الشاعر وتجاربه المختلفة حين تنسجم وتتآلف في تعبير فني منسق ذي « قيمة » تحتم على النقد البحث في أصالتها الفنية من خلال ادراك أبعادها وأعماق رمزها ورصيدها الانساني .. نحن نفترض أن الغموض هو الرمز ، وأن الشاعر الغامض الذي بلغ به غموضه الى درجة نبذ فيها الكلمة واتجه نحو الحرف — كما يتجلى ذلك عند اصحاب مذهب الحرفية حين اهتموا «بالمدلول النغمي للحرف» واعتمدوا « على الصمت الذي يتخلل القصيدة » (٧) ، هو شاعر

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

مبدع واصيل .. هذه مجرد افتراضات محضة تبدو نظرية لا قيمة لها في صراع الانسان المعاصر ، الا اذا ادرك الشاعر انه ملتزم بالمضمون الاجتماعي الدرامي التزاما يخضع فيه الغموض أو الرمز الى ايحاءاته ودوافعه من داخل التجربة وليس من خارجها وهنا تكمن اصالة التجربة وليقل النقاد ما شاء لهم القول في ذلك ، فتلك مسألة تقدير وتقويم فنيين نقديين تخلقهما التجربة الفنية الناجحة بحكم الضرورة .

لقد بالغ بعض الشعراء والكتاب والنقاد في فهم الحرية التعبيرية لدرجة صارت فيها تلك الحرية ضربا من الفوضوية والعبثية حين تحررت « الحرية اللغوية » بل وتجردت من دلالاتها الاصلية التي اوجدها تطور المجتمع الانساني وصراع الطبقات الاجتماعية واضطراب الفلسفات وتيارات الفكر الانساني فبرزت في واقع الجدل الادبي النقدي مصطلحات ومذاهب جديدة انطلقت من تبيان موقف أو تحديد وجهة نظر من تلك الحرية التعبيرية . فالكلمة الشعرية الجديدة — وهي نواة التعبير وبنيته الفنية المعول عليها في بناء التجربة الادبية : القصيدة ، الرواية ، القصة ، المسرحية والمقالة — تولد من اعماق شعور مبهم مجردة عن اي ارتباط او علاقة بما يحيط بها من اجواء حين وصفها جوتفريد بن في دعوته الى الشعر المطلق والتعبير الجديد بقوله « لا علاقة لها بالعقل ولا علاقة لها بعلة ولا علاقة لها بعلاقات اخرى . انها كلمة من عالم التعبير ، تعبر عن التحول الداخلي .. الباطني الذي يجري في الشعور الملغى » (٨) ان مثل هذه التحديدات النفسية والفلسفية قد عقدت التعبير فصيرته مزاجا انطباعيا اكثر من كونه بناء فنيا يخدم هدفا معينا في الحياة ، ان ازدحام هذه المسميات والمذاهب الادبية كالدادية والسريالية والمستقبلية والتعبيرية في ذهن الشاعر العربي المعاصر قد شوهت تجربته وصيرت تعبيره سطورا ميتافيزيقية لا قيمة لها فانطبقت عليها عبارة هربرت ريد المشهورة بأنها ضرب من « العدمية الجمالية » (٩) .

اين مكان الشاعر العربي المعاصر من هذه المذاهب الادبية ، هل حقق عملا شعريا رائعا يستحق الاعتبار ؟ هل ادرك ضياعه وغربته بين هذه المصطلحات ؟ هل استوعب تجربة عصره ؟ هل رفع صوته القومي الانساني دفاعا عن حقه وقضاياه ؟ هل خلق تجربة تتجلى فيها خصوصيته الفنية ؟ تلك اسئلة ينبغي ان يجيب عنها النقد المنهجي الموضوعي بأمانة وصدق بعيدين عن التطرف والمبالغة والاقليمية .. النقد يقول لنا ان الشاعر المعاصر يجب ان يعيد النظر من جديد في كيانه الفني ، يجب ان يكون الشاعر اصيلا يهتم « بالنوع » الخلاق قبل « الكم » المشلول لنكن غير منافقين حين نقول بلغة النقد المنهجي ان القصيدة العربية المعاصرة بائسة ضائعة لا منتمية وعليها ان تجد في البحث عن وجهها الفني الاصيل وليس ذلك عند الشاعر العربي الموهوب بالامر الصعب .

(١) د. فائق متى ، السريالية في النقد المعاصر ، ص ٤٩ — ٥٠ مجلة الفكر المعاصر ، عدد (١٨) . القاهرة ، اغسطس ١٩٦٦ .

(٢) ن.م. ص ٥٠ .

(٣) سومرست موم ، تجربتي في الادب والحياة ، ترجمة جعفر صادق الخليلي ، مراجعة الدكتور عناد غزوان اسماعيل ، منشورات احمد عويدات ، بيروت ، ١٩٧٥ ، ص ١١ .

(٤) فاروق فريد ، كفافيس .. الشاعر السكندري ، ص ٦٠—٦٩ مجلة الفكر المعاصر ، عدد (١٥) مايو ١٩٦٦ .

(٥) الفكر المعاصر ، عدد (١١) ، ١٩٦٦ ، ص ٦٥

(٦) د. سهير القلماوي ، الادب بين المحلية والعالمية ، ص ١٦—٢٣ الفكر المعاصر ، عدد (١١) يناير ، ١٩٦٦

(٧) محمد عبد الله الشفقي، أدباء الطليعة في الغرب، ص ٦٩—٧٧. الفكر المعاصر ، عدد (١١) يناير ، ١٩٦٦ .

(٨) د. مصطفى ماهر ، جوتفريد بن والشعر المطلق ، ص ٤٠—٤٩ الفكر المعاصر ، عدد (١٥) مايو ، ١٩٦٦ .

(٩) علي جمال الدين عزت، نقد الفن عند هربرت ريد ، ص ٨٠—٨٧ الفكر المعاصر ، عدد (١٩) سبتمبر ، ١٩٦٦ .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com





ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

قصة قصيرة بقلم : حسن البنداري

.. السيارة تدنو من الميدان بطيئة متثاقلة بسائق كسول .. لكنها تقرب من الميعاد . والنهار الابيض يوشك أن تبزغ شمسه يقرب من الميعاد . أحشو صامتا اذني بكل الاصابع واغمض العيون لاحصي ضربات قلبي المبهمة : اقترب من الميعاد .. فلا اسمع ولا ارى ولا اتكلم ..

يدعوني الحذر .. يستهويني فأتخدر لترد على الذهن تفاصيل الكلمة الفاتحة المنتصرة يقولها فارس الفرسان — انا — في الحفل المنشود ... الميعاد . تكريم الابطال العائدين المنتصرين :

« الكلمة .. لك .. قالوا وصمموا .. وصمموا بنفس واحد :

— اتفقنا على أن تتولى القاء كلمتنا . .قالوا بقرار حاسم لا يقبل ردا . الاربعة .. حاصروني طوقوا هروبي .. ارادتي . لم يستجيبوا لتراجعي واعتذاري رغم اني لا اسمع ولا ارى ولا اتكلم .

— اعفوني .. ليكن احدكم المتكلم.

— اتفقنا على ان تكون انت المتكلم.

— لا ارغب في الكلام .

— لا مفر ، هذا قرارنا جميعا .

— وليس لدي ما اقول ..

— بل لديك الكثير ..

قالوا وغادروني .. الخطيب المفوه !! . انا .. الصدى .. الصخر الصلد الاملس . الوادي .. ما فائدة الكلام .

ارتد مترنحا الى الوادي الصوت .. انا الخطيب المفوه !! .. »

.. أوقف السيارة السائق الكسول .. « بفرملة » بزلزال مفاجيء .. تنفتح عيناي .. تطير أيد وأقدام ورؤوس : المحطة. الوصول. البداية والنهاية . ينهض جسدي .. يغادر وينزل .. يحتويني الميدان ، وحدي ، فارس الفرسان — انا !! — لا ناس . لا شمس . لا جمهور يعرفني : أجر ساقي والنوم سلطان غالب يغازلني : الكلمة لي . للفارس النكرة . الكلمة الفاتحة : الموعد . أتوتر. فأسرع للحظة الخطو لاعود وأبطيء ، لاتوقف ، لاستأنف، لافتش في الوجوه المسرعة ! .لامضي

وحدي اقطع دورة الميدان يعلوها جسر المشاة اصعد اليه السلم . تدوس اقدامي اقدامهم .. الجمهور لا يعرف البطل ! « وقت الفجر جاءوا ... جاءوا وقت الفجر . بعد أن قضيت وقتا في اعداد درس جديد جاءوا .. أنا مدرس . كانت زوجتي نائمة ، والنوم سلطان ، تحتضنها ابنتنا المريضة النائمة . وكانت كل بيوت الحي نائمة ، لكنهم جاءوا ؟ . انصت لرنين جرس الباب في البداية كالحالم .. ثم تحسست في الظلام المرض ثم تيقظت حواسي كلها على تواصل الرنين ! . العالم مهدد بالزوال . ! العالم مهدد بالزوال وأنا المنقذ الوحيد !!. وثبت خفيفا من الفراش. قفزت من الحجرة الى الباب ، الى الصالة ، الى باب الجرس . فتحت فسكت الجرس . رأيتهم في الظلام: المخبرون . جاء اخيرا في الفجر ، المخبرون . دقوا بابنا . كلموني وكلمتهم . قالوا : وقع — هنا — على ضوء بطاريتهم . على صوت محرك سيارتهم المنتظرة .. كانوا عجلين فوقعت . وقلت : الان . فقالوا : الان . بينما لا يكف محركهم . استأذنتهم فأذنوا .. سمحوا شرط ان اسرع ولكني لم افعل . فخطفتني منهم يد رمتني في سيارة يقودها مجنون . اسرعت وتسلقت جبلا اتجهت الى قمته .. عاليا غير مدرج وغير مائل .. فدق قلبي وانفجر .. » .. انتبه على ساعة مواجهة .. الجامعة العربية . جسر التحرير الدائري بدأ يكثر عليه المشاة : أنا فوق الجسر .. الان . الفارس النكرة . الاعلام المرفرفة بهواء الصبح تتحدى : « كالجسد الواحد ! اذا اشتكى منه عضو تداعت له سائر الاعضاء » .. البناء الشاهق شاهد على .. على .. أين تفاصيل الكلمة . ؟ الحروف المتوارية ؟ يصول ويجول بها فارس الفرسان عنترة ! انزل .. انزل .. انزل فلا أنزل :

اعتصم بالعمى ، والصمم ، والصمت:

« .. سقطت بي السيارة من فوق القمة . دق قلبي ثانيا وانفجر : كانتا ترقبان حين استدرت الى الداخل زوار الفجر ، كلام الفجر ، المصباح، في المحرك ، في الضوء ، في التوتر، في الصمت المثقوب بأجراس الفجر . جريت اقبل سنواتي الست « منى » المريضة « يا بنتي » تجاوزت نظرات الام .. ربت الخد . قطعت في لحظة واحدة مسافات هائلة. لا بد يا عزيزتي من الذهاب قبل اي شيء . الامر الصارم . لا تقلقي . لا تحملي هما . ساعود . وحضرت للفور صحراء ، وبقع بنية على الرمل لا تزال ،وشريط مياه يفصل بين خطرين . هل يحدث؟ لنفسي قلت ولهم : هل يحدث ؟ ولم يجب المخبرون . لم يجب احد . الجواب المستعصي في السيارة تأخذني الى مركز التعبئة . « منى » المريضة . قلتها لنفسي . وكان هناك غيري كثيرون . وكانت سيارات تقبل ، وسيارات ترحل تحت زرقة الصباح الاول . وخفق قلبي ثالثا ولم ينفجر ، وأنا اتسلم «شدة» الميدان . وقلت : بنتي ، بنتي . ولكن بدا وجهها باهتا تلفه غلالة رقيقة . ثم لم أعد اقول « بنتي » وعيون مبهمة تنظرني . وكلمات غامضة تحركني، الى مسافات رملية بعيدة ، اسلمتني الى وجوه قلقة ، الى دشمة مكبلا بسلاحي ومهماتي ، يهبط من فتحتها وجوه ونسمات وأصوات غامضة . »

.. دقت الساعة دقات لا احصيها.

امشي . ادور مع دورة الجسر . لا اسمع لوقع خطواتي . انزل وينزل عنترة .. توقفني الصحف الملقاة على الرصيف « بمانشتات » عريضة وحمراء . اشتري «الاهرام» اطويها. اضعها تحت ابطي الايمن .. اتابع. اميل مع الرصيف الى الشارع . المدرسة في الوسط . اقترب بغير رضا .. اقدامي مترددة . اصوات الطلاب المنتظرين تصل الي واقعا مرا واليما . نفسي يضيق . اقف واتسمر لادلك نشاطي . اسحب الصحيفة ، أفردها : « المانشت » الاحمر كبير وصارخ يعيد بصر الاعمى . ولكن عيني لا تقرأ الحروف. اجدني اتحرك فجأة وأتقدم ناحية البناء ، تحركني اصواتهم مثلما فجأة أوقفتني:

« نادوا ، ونادوا ، ونادوا بأصوات آمرة ، حادة وصارمة ، كنت قد غفوت بكامل ملابسي العسكرية بعد بلوغي الجبهة . اتوسد شدتي واقبض على سلاحي الشخصي .كنت انتظر الجواب . خرجت من الدشمة قبل ان تطرف العين . السرعة . السرعة . البي اصواتهم . شعرت براحة تغزوني وقلت في نفسي ان قلبي لا يكذبني . وكان قد بدأ الشروق — ضبوني الى « وحدتي » التي غادرتها — مسرحا — منذ شهور ثلاث لقيت كل الزملاء القدامى. لم يتخلف واحد. ابتسمت لهم لاول مرة منذ فجر امس . تعانقنا بحرارة ، وتساؤل صامت لا يبين . ولكن سألتهم فقالوا: لا نعرف. ثم عادوا وقالوا: «مشروع» وقالوا : مجرد تنظيم . وقالوا : اختبار لسرعة التجمع .. لقالوا لعلها الحرب . ثم عدنا وقلنا جميعا : لا نعرف . ولكن قلبي قال لي كلاما واحدا . وقال القائد في الصباح « اسمع الجنود : سوف نعبر هذا الماء .. نحرر ونسترد .. »

.. الباب باب قلعة . يفتحه عم «حنفي» البواب للمدرسين والعاملين فقط . الباب مغلق الان . طرق او نداء ليفتح . اقف امامه دون ان اطرق او انادي . اصواتهم في الداخل تذكرني بوقوفي ، بحيرتي ، بحكمة الصين الشهيرة : لا اسمع ، لا ارى، لا اتكلم . هل تغادر القرود الحكمة متكلمة ، سامعة ، مبصرة . ؟ تصك اذني — تعود — الاصوات . بقنابل وصواريخ وهدير طائرات مهاجمة .. هل تسقط من الحكمة اصابع

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الاذنين والعينين والفم ؟ هل يتحرك وينطق التمثال ؟ انا لست انا يا عم حنفي . فلا تفتح الباب للذي ليس انا — يا عم حنفي انا راجع . اعتذار لي . أنا راجع . قل حضر ولم يرد . قل حضر ومات . قل اجلسه راضيا طائعا مختارا على قاعدتها قرود الحكمة .. قل :

— افتح يا حنفي ..

اتلفت الى مصدر الصوت الذي صدر غدرا وسوطا .. خامسنا .. خامس ابطال النصر . يتأبطني .. باب القلعة ينفتح . نصعد معا الدرجات . الجبل القائم . السقوط من فوق قمته .. نجلس لبعض الوقت في حجرة الناظر .. ننهض نمضي الى المسرح .. يستقبلنا التصفيق الحاد معجبا ومحييا . عيناي تتجولان في المكان . تتصدر الجدران الصور : «العبور» . « المعجزة .. » « قهر الجيش الذي لا يقهر » اعلام العرب المرفرفة . «الخط المتهاوي» .. و ..

يسر المدرسة أن تقيم هذا الحفل تحية للدور المعجزة الذي بذله أبطالنا .. و .. »

« .. تلقينا الضربات المجنونة ليلا ونهارا .. وكنا نكبر . ولم نتراجع .. كنا مصرين . كان التقدم الى الامام هدفا ، ورجاء ، وامنية رغم كمون الخطر في كل خطوة .. و .. »

(.. ان العالم قد اندهش .. العدو قبل الصديق . ويحق لجماهير العرب ان ترغع ، وتبتسم ، وتعلو ، وتصعد ، وتطير ، وتضحك ، وتأمن ، وتنفس ، وتغني ، وتنام ، وتفرح ، وتضغط على مخارج الحروف .. و ...)

« ... جاءت « منى » وانا اكبر مع المكبرين . صفراء تئن ببابا ، بماما في زوار فجر رحلوا بي والناس نيام . في استغاثة طواها هدير كاسح غاطس لطائرة معادية اطاحت بأجسام الموقع .. طاقم المدفع المضاد . فطارت الاجسام وتحطم المدفع شظايا واشلاء . الاجسام الحية — كانت — رؤوس واقدام وأذرع ، وسيقان ، وتفكير ، وناس ينتظرون شوقا عودة الغائبين . ومالت رؤوس بغير جسد من فوق الحفرة فلم أر سوى لون بني على وجه الرمل المجعد رسم خطوطا وبقعا ودوائر متنوعة .. و ... »

(.. استرددنا الكرامة ، والعزة . طال الصبر . ولكن الارادة لم تهن ، سقط شهداء لنحيا نحن . الطريق الطويل الشاق قصره ، ويسره ابطالنا .. و

« .. تلقفتني ايد كثيرة راحت بعناية تفحصني . كبلوني بأجهزة وآلات . .واسمعوني كلاما حلوا مبشرا ثم ابتسموا في وجهي ، وعلقوا على الصدر أوسمة وشارات ذات الوان وحروف بارزة ، وقالوا : صمدت . واسقطت الطائرة التي دمرت الموقع !. وقلت : بنتي «منى» ، وقالوا : انت رمز للمقاتل الجديد . وقلت : بنتي الان . زوجتي الان . حيي الان . منزلي الان . مجري الان . عدت شهادة تحمل بخط أنيق « المذكور أبلى بلاء حسنا » لازين بها صدر صالتنا !! ولما فتحت بابنا كانت **زوجتي متشحة بالسواد . وكانت** نحيلة ، وكانت صفراء . وكانت ميتة على مقعد تحت صورة كبيرة « لمنى » اطارها اسود . لم تهب زوجتي الميتة لاستقبالي . فقط أدارت وجهها ناحيتي وقالت بهدوء : « منى » ماتت . و ... »

« .. الان يتكلم واحد من هؤلاء الابطال الذين صنعوا المعجزة وقهروا الاسطورة الكاذبة . واحد من بواسلنا يحدثنا عن قليل من كثير مما حققناه في حربنا .. »

التصفيق يفرقع في القاعة المزينة. انهض، يحتد اكثر . تمتد يدي الى المايك الخشن تقبض عليه . .لساني ساكن في فمي المغلق . انقل نظراتي بين الوجوه .. الصف الاول، الثاني، والثالث ، والرابع ، والخامس. أصل الى نهاية القاعة .. افتح فمي لاتكلم .. لاخطب . لاقول كلمتي .. كلمتنا .. ولكن لساني ما زال ساكنا لا يتحرك : تمثال الحكمة الصينية .. تتراخى قبضتي : تثب من قاعدته قروده الثلاثة تصل الي تنزعني ترتد عائدة بي الى الحائط .. تغرسني في القاعدة وتهرب .

حسن البنداري

— القاهرة —



ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com



ودائع الليتيم

قصة قصيرة

بقلم : ابو القاسم رشوان

دق الناقوس . فقفز « سليم الزيتوني » متخطيا الحواجز والابواب ، وتبعه « زعتر بن الزيات » ، وانطلق الغلامان كالريح وما ان جاوزا المدرسة ، وغاب عن عن ناظريهما سورها العالي حتى وقفا يداعبان الاحجار . ركل الزيتوني حجرا ، فجرى زعتر خلفه، وبكل ما أوتي من قوة ركل الحجر ، فارتطم بزجاج نافذة وسال الزجاج على الارض محدثا دويا هائلا . فانطلق الغلامان كل في طريق بعد منعطفين التقيا وجها لوجه ، فارتطم جسداهما الصغيران حتى اختلطا .. وسارا متجاورين .

ابصر « الزيتوني » حجرا مدورا فلم يستطع ان يقاوم ، فركله ركلة خفيفة ، حاول زعتر ان يقابلها بركلة اخرى ، لكنه وجد الحذاء قد خدش . فأمسك بالحجر ، والقى به حيثما عن له الالقاء ، على غير هدى تارة ، ومحددا هدفه تارة اخرى . وكانت الاحجار تصيب الناس عادة،فيهرعون وراءهما . لكنها لم تصب احدا هذه المرة . وظل الغلامان يلقيان بها يمينا وشمالا علها تصيب احدا .. لكنها لم تصب . فسارا لا يلويان على شيء ، لا يتفحصان الطريق ولا يختبران المعالم ، فهما يعرفان طريقهما جيدا ، حتى لو ربطا اعينهما . وفجأة توقف « زعتر » ونظر حوله فكاد يجن . وصرخ قائلا :

— اين نحن الان ؟

فقال سليم : ماذا دهاك ؟

قال زعتر ، والدمع يكاد يطفح من عينيه : تهنا يا سليم .

نظر سليم فيما حوله فلم يفهم شيئا . فقال : كيف حدث هذا ؟ وفي مكان نستطيع ان نعد رماله ، ونحصي حصاه ، فكلها أترابنا واندادنا ..

وكان الذهاب والاياب قد عقدا بينهما وبين المعالم صلة من الحب

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

والالفة والتعاطف ، هي نفسها حب الاب والام ، والاخوة ، وكل شبر في الدرب .

وتساءل « زعتر » قائلا : ايمكن ان نضل الطريق ؟

فقال « الزيتوني » : مستحيل أن يحدث شيء من ذلك .

ازداد « زعتر » خوفا ، فشد شعره ، ولطم خده ، لكنه لم يجد جوابا . وهال « الزيتوني » منظر زميله ، فتسرب الخوف الى نفسه ، واخذ النفس يعلو ويهبط ، والاوصال ترتعد ، ودارت العبرات في المآقي .. ولكن اين نحن ؟ .

وساءل « زعتر » نفسه بصوت كاد أن يكون مسموعا : احقا ما قال المدرس .. ان الارض تدور ؟ . ولكن اين الدور ؟ واين الناس ؟ واين البهائم ؟ واين البساتين ؟ . اين كل هذا ؟ .. حتى الكلاب لا وجود لها !!

قال « الزيتوني » : ليحدث ما يحدث . سنصل الى الدار حالا .

تعانق الغلامان .. وقالا وهما يرتعدان :

ما هذه الاشجار المحترقة ؟
وهذه الانقاض المتراكمة ؟
والاتربة ؟ والغبار ؟
ما كل هذا ؟

وحاول « سليم » ان يتماسك فقال : يبدو ان مدرس الجغرافيا اثبت وجود الزلازل والبراكين عمليا .

فقال « زعتر » : وهذه المياه الحمراء ؟ . اجاء بالبحر الاحمر الى هنا ايضا !!

وسمع « سليم » انينا ، فاندفع الى الامام ، فارتطمت رجله بأشياء غريبة ، وقف يتحسس ، فاذا هي اشلاء ، جماجم ، اذرع ، ارجل ، وانين هنا ، وانين هناك . مد يده يزيل التراب ، ويسمح الدماء . فاذا هي !! هي !! لا غيرها . قالها بصوت متهدج كحشرجة الموت . وصرخ صرخة عالية ، فصك الصدى سمعه . وجال « زعتر » بناظره ، ودار « سليم » بعقله لكنهما لم يجدا تفسيرا لما هما فيه ، فعادا يتساءلان :

ـ انحن نيام ؟ أم مجانين ؟ .

ولكن ما هذا الشبح ؟

ـ انظر .. انظر .. انه كلب .

قال « زعتر » في لهفة : كلب !! كلب من ؟

فقال « سليم » متعجبا !! : كيف تاهت عنا كلاب الحي ؟ ونحن نعرفها واحدا واحدا .

وانعما النظر . فقال « سليم » : انه ليس كلبا واحدا .

فقال «زعتر» : انظر هذا الضخم . وهذا الضامر . وهذا الاسود . وهذا الابيض .. وهذا الاحمر ، والاشقر ، والافطس ، والاقنى .. ما كل هذا ؟

قال « سليم » : ما لهم يتخبطون !! لقد ضلوا طريقهم مثلنا .

فقال « زعتر » : لكنهم يتقدمون .. ينقضون .. كادوا أن يحيطوا بنا .

ماذا يريدون ؟

يا للهول .. انهم يكشرون عن انيابهم .. انهم يقتحمون .. انهم ينشبون اظفارهم . النجاة .. النجاة .

وفر الغلامان . وعوت الكلاب وطاردت وتابعت . وظلت تطارد .

وجد الغلامان نفسيهما وسط قطعان من البشر تجري هنا وهناك . فجريا معها الى حيث لا يشاؤون . صعدت الجماعات ، وهبطت . خاضت المياه . غرست الارجل في الوحل ، وعفرت بالرمال . تساقط من تساقط .. ومات من مات .. وبقي من بقي .

وظل « سليم » يسأل نفسه : احقا قامت القيامة ؟ .

فلما لم يجد جوابا ، قال : قامت ، قعدت . لقد ضاع كل شيء .

وجلسا مع الجالسين ، وناما مع النائمين . وطال النوم ، واشتد الجوع ، وانتشر المرض . فلما جاء الشتاء أويا الى خيمة بالية ، خبت الريح فيها من كل صوب ، فلم تقهما حرا ولا بردا . واثر «سليم» ان يقيمها على ربوة يرنو منها الى المكان القريب البعيد وارتحل من ارتحل وبقي من بقي « وسليم » صامد لا يتزحزح ، ينفض الغار ، وينفخ النار فيتطاير الشرر ، وينطفيء ، ثم يومض من جديد ، ويصب الزيت ، فيظل السراج مضيئا . من بين الغبار والتراب والنار امتد عنق « زعتر » وقال :

ـ الى متى نعيش هنا ؟ ولماذا ؟.

فقال « سليم » : والى اين تريد ان تذهب ؟ .

فقال « زعتر » : لماذا اعيش هكذا انا وحدي ؟ والناس في الوادي يعيشون في نعيم ؟ .

قال « سليم » : انت هنا في جحيم لكنك سيد نفسك . اما في الوادي فلا تعدو خادما لاهل الوادي .

ذات صباح ، استيقظ « سليم » مبكرا . وبحث عن « زعتر » فلم يجده . ظنه ذهب يشعل النار ، لكنه لم يعد . ظل « سليم » ينتظر .

ومشى « زعتر » على اطراف اصابعه محاذرا أن يسمعه احد ، ثم انبطح على بطنه وابتعد رويدا رويدا ، حتى تاه في بحر الظلمات . واثر السير ليلا بعيدا عن أعين الرقباء . فاخترق بلادا ، وانهارا ، وتسلق جبالا ، وتدحرج في وديان . وما كاد يشارف الوادي الكبير حتى وجد نفسه محاصرا بين حراس غلاظ شداد . حاول الهرب لكنه لم يقو على ذلك . وارتفعت العصي ، فسقط مغشيا عليه . وحين افاق « زعتر » وجد نفسه جثة هامدة في واد سحيق ، فلملم نفسه ، وجمع اشلاءه ، وفي جنح الليل ، وبرد الشتاء ، كرر المحاولة .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

في وادي الذهب الكبير ، لم يجد « زعتر » شيئا غريبا عليه ، الا الوادي نفسه ، وقلة من النـــاس تاهوا في الزحام . قال « زعتر » مخاطبا نفسه : ماذا انت فاعل وسط هذه الجموع ؟ .

وسرعان ما اجاب : سأنتـــزع الدرهم من المخالب ، والعيش من الانياب .. ومع اول درهم ، هرول نحو النعّال يبتاع ، لكنه لم يجـــد ما يناسبه ، لان الطين قد بنى فوق الرجل رجلا اخرى .. كان عليك يا « زعتر » ان تنقع رجليك في مـــاء ساخن وتصب عليهمـــا الزيت ، وتدلكهما بقوة اياما ، حتى تستخرج من تحتهما رجليك الاصليتـــين . واستمر يزاول طقوسه هذه عـــدة ايام .. وحين بدات رجله تظهر ، ذهب يجرب حظه .. وعانى كثيرا في باديء الامر . لبعد عهده بالنعال . حتى كان يبدو احيانا كالغـــراب في مشيته . ولكن سرعان ما بدا العز . وتوالى التغيير والتبـــديل .. حتى غدا يتطلع الى كل جديد . واستمرا « زعتر » حياته الجديدة . فحاول ان يتناسى فلم يستطع ، فما زالت النار تشتعل . هز راسه فخيمت فيه خيمة بالية وسيطرت على كـــل شيء فيه . وانسته كل ما حوله . فلم يفق الا على راسه يرتطم في حائل زجاجي ضخم فأفاق من غفلته ونظر، عاود النظر مرتين فانبهر . وبدون ان يدري قارن بين خيمته وبين هذه الخيمة الجديدة المطهمة المكيفية التي تنفرس اوتادها تلقائيا . طرا كل هذا على ذهنه ، فشطره نصفين .. شعور جارف يشده الى الـــوراء ويحاول ان يبعده لكنه يأبى . واخر أقوى منه شده الى صاحبة الجلالة القابعة خلف الزجاج .. طـــأطـــأ راسه ، ونفض عنقه . ودق الوتد الرابع .. وبالمطهمة امعن في المسير.



نظر في المرآة فلم يجد الا « سليـــم الزيتوني » .

... وبهذه المناسبة ، اقـــام « زعتر » الذي اصبح يكنى « ابو العز » مأدبة عامرة في منزله الكبير المطل على بحيرة « عين الوردة » دعا اليها صديقه « ابو العز » وزوجة صديقه « أم العز » وجمعا مـــن الاصدقـــاء زادوا على العشـــرين ، جميعهم يكنى « ابو العز » ومثلهم زوجاتهم . ومع ان كنية الجميـــع واحدة ، الا انه لا لبس بينهم ، حين توجه الخطاب الى واحد منهـــم يصغي دون سواه .

خرجت النار من بين الشجـــر الاخضر ، فانعكست على صفحـــة البحيرة ، وعبق الجـــو برائحـــة الشراب والشواء ، فامتدت الايدي تغرف من الكوثر ، حتى امتـــلات البطون وفاضت ، وعلى حافـــة البحيرة صبية يمرحون .

انصرف اصحـــاب « الكنيات » مبكرين . فحاول « زعتر » ان ينام ، لكنه شعر بالبرد والغبار والتراب، فأشعل لفافة في اعقاب اخـــرى ، وراح يتأمل الدخان .. في الدخان سبحت خيام بالية ، واثواب ممزقة، واطفال حفاة عراة .. حـــاول ان يبعد الصورة ، فرفع يده واعتصر جبهته التي كاد الصداع يفلقهـــا ، حاول ان يلم راسه فتاه في فراش من الحرير .. تنهد مرات فلم يشـــف غليلا . رفع رجله فدوت قذيفـــة وتطاير الشرر . ارتطمت رجـــل الفيل فدوى صوت زجاج . جلس « زعتر » يتحسس رجله ويدلكها ، فانحسر الحرير عن رجل بضـــة اشعرته بلذة كاد معها ان ينسى ما هو فيه .. جال بناظره .. تحسس ما حوله .. القى نظرة على الستائر المسدلة ، المنسابة بألوانها الزاهية اللامعة .. تقابل لمعانها مع اخت لها . فانعكست الاشـــياء علـــى صفحتيهما ، وتكـــرر الانعكـــاس . فبدت الغرفة في صور متعـــددة ، وتداخلت الصور كصفحـــة نهـــر انعكست عليها الوان الطيـــف .. وضع يديه على ركبتيه وقام علـــى دفعات يتدحرج . عانى كثيرا وهـــو يزحزح ما نيط خلفه . شعر بالهواء يفصل بين طري واطرى منه ، فشد يديه ورفع كتفيه ومال الى الوراء ، وحاول ان يحرك خيمة كبيرة امتدت امامه .

.. القى بنفسه المنهكـــة ، فاهتز الكرش وعلا وهبط ، حاول ان ينقل الخطو ففاصت الاقدام ، راح يزحف على ايوان كسرى ، ويترنح نحـــو خزانة كبيرة . تطلع في المرايا فراى جاموسة ثملة .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

فتح بابا يبحث عن لا شيء ، فلم يجده . فتح ثانيا وخامسا ، وترك الابواب كلها مفتوحة ، فبدت خزانته كقاعة ضخمة من قاعات الامم ــ التي لا يمكن ان تتحد ــ عقد فيها اجتماع خطير . رفرفت الاكمام والياقات ، وتدلت ربطات الاعناق المزركشة .. اشكال ، انواع ، الوان .. من كل ما ابتدعته امم الارض ، وغير الارض .. وراح يتأمل المعرض الكبير .

من قلب الخزانة خرج طفل اغبر ، اشعث ، تدلت ثيابه في غير انتظام ، فأظهرت منه اكثر مما اخفت . مد سيقانه الضامرة ، ومرق من بين رجلي « زعتر » ، والقى بنفسه من النافذة ، وقبل ان تلامس قدماه الارض انطلق كالمارد . وقف «زعتر» مشدوها يتابع المارد وهو يسبح في الفضاء . ازداد الاسراع والارتفاع . وفجأة دخل الطفل من النافذة ، وعاد كالبرق .. شعر « زعتر » بدوران شديد ، واختناق كاد يكتم انفاسه ، فارتمى على سرير وحاول ان يبكي فلم يستطع ، اعاد المحاولة فخرجت دمعة حمراء وانطلقت من النافذة كالشرارة . تململ كالهرم ، ومد يده الى علبة ذهبية ، فانطلق منها طفل اخر ، وتابع الاول . اشعل « زعتر » لفافة .. ومن بين الدخان انطلقت مجموعة من الاطفال كالجراد .. في كبد السماء .. فوق القبة العالية .. ركل « سليم الزيتوني » قطعة من الليل ، وعانق القمر ، فهوت كتلة من النار . اغمض « زعتر » عينيه ، وجعل اصابعه في اذنيه .. ثم ادار ظهره للنافذة ، ومد يده يداعب الستائر ..

ابو القاسم رشوان
ــ الكويت ــ

"صار عشقنا اوسمة"

شعر: خالد الخزرجي

سيدتي ...
أيتها المبحرة الان بلا أشرعة
ان القوافل .. السفائن .. المدائن .. البحار كلها ..
نوارس اوجهك المخضب ، الدماء ،
تصبغ الشوارع .. المخازن ، المدارس ، الفنادق
الليلية الحمراء يا سيدتي
وجهك دمية وعيناك حمامتان ، شعرك المذهب الاصيل،
غار منه واكتوى العشاق ، هل تصدقين عاشقا
ينام في ضفائرالنساء .. يستحم في جزائر العينين ،
هل تصدقين ؟
وجهك التفار منه الشمس يا سيدتي ..
لافتة تحمل اسم الوطن المزروع فيحدائق النجوم ،
تعشب الفصول حين تضحكين ،
تضحك المواسم ، الحقول ، اذ تصيرين
حدائقـــا
سنابـــلا
مرافيء انتظار .. يبحر الصباح في عينيك يا آسرتي
بحبـــك القديـــم ،
صار عشقك الحلـــم طقوسا للفرح ..

اسمك بيع في المزاد والملوك تخسر الرهان ،
وحدك المباحة .. الضباع تشتهي عيونك ،
المشانق الحمراء آه .. ترقصين كالذبيح
تصرخـــين ،
تصرخين .. آه ! ..

خليفة القصور ينبش القبور ، يعجن اللحوم في
صفائح النبيذ ، يشرب الجراح ،
يبصق الضمير في شوارع البغاء ..
يغرس في الاوردة الحـــراب .. هذا زمن يولـد ،
في الرفض ، أنا وأنت يا سيدتي
متهمـــان .. آه .. لو تدرين صار عشقنا
أوسمـــة
للعاشقـــين ! ..

بغداد ــ خالد الخزرجي

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الفن التشكيلي في الكويت

عبدالرسول سلمان



ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الطبيعة بهجة الكون وجمال الحياة .. ونفحة الخالق .. وهي معشوق جميل يقول لعاشقه اسباب حبه ... وساكن الكويت القديمة من عشاق جمال الطبيعة من قبل ان تمسه آثار هذه المدنية الحديثة .. فكثيرا ما راح يتأمل النجم الساري كي يحدد وجهته في مسار البحر .. ومسالك البر وطرقه .. وعندما يسافر للتجارة او للصيد . او لجلب الماء ، وهو حتى اليوم لا يزال يهرع الى فسحة الصحراء وجمالها وانبساطها .. ووحدة الوانها وانعكاساتها الذهبية وتلالها المتفرقة المتبعثرة .. وكثبانها الرملية المنتشرة .. فيهجر المدينة وينصب الخيام ليعيش هو وعائلته في البرية شهرا أو يزيد بين الاعشاب المزهرة ... وسمائها الرحبة المقمرة ...

رواد الفن الاوائل :

وما زال الناس هنا مهما شغلتهم شواغل العمل والتجارة .. ومهما استهوتهم مغريات الربح . يحافظون على هذا التقليد الرائع الجميل ... تقليد العودة الى حضن الطبيعة الام اياما من كل عام تعيدهم الى جمال الفطرة وبراءتها وبساطتها ونضارتها وحلاوتها ..

اذ أن الرسم كان هوايتهم وشغلهم الشاغل طوال حياتهم .. لذا رسموا على الاشياء التي احبوها وملأوها بالزخارف والصور . .فرسموا على القوارب التي يخرجون فيها لصيد السمك والغوص في الخليج العربي بحثا عن اللؤلؤ .. ورسموا على السفن الشراعية التي عاشوا عليها هم واجدادهم من قبلهم .. كان هؤلاء هم رواد الفن الاوائل الذين عاصروا الحياة القديمة والمعاصرة التى ارتهم الكويت وهي تعيش حياة الكفاف .. والبساطة المتناهية في المعيشة ... ثم عاشوا في الكويت الحديثة التي تشهد اليوم تطورا شمل جميع نواحي الحياة من اجتماعية واقتصادية وسياسية ..

الفن الانسيابي :

والفنان الكويتي الذي نشأ في هذه البيئة كغيره من ابنائها تأثر بعوالمها وتعامل معظواهرها الطبيعية والبيئية التي فرضت وجودها وفعاليتها على حياته .. فمن ثم كان تأثره بعوالم هذه البيئة تأثرا ظاهرا .. لانه ارتبط ارتباطا وثيقا اخذ سمة الطبيعة ... وقد كتب د. « فرنسيس لامان » .. « فالكويتي .. وهو رجل البادية يتذكر .. فالرجوع الى الاصل يلهم مسيرته الفنية المقدسة وتدفع الفنان

لممارسة العبادة البدائية للفضاء والكون . ومن اهم طقوسها الصفاء المتموج .. والحميمية واللانهاية .. ولانه رجل البحر . فالكويتي .. يؤمن ويوفق بين فضائين في تجميع تصويري طوعي .. فالى عن الخشوع او الرواية الذي يعبر عن التقاليد بنظم الفن الانسيابي .. ويقول الشاعر .. انت ايها الرجل ستشوق دوما الى البحر ! .. والفن الكويتي يرد له هذه الدعوة فبعبيره تكشفه الوانه ذاتها ولمعانه بحر سخي ومحتوم ومسترح او طابع ... " .

موسوعة الحياة :

والفنان الكويتي عايش بيئته الكويتية . فكثيرا ما تجول بين حقول الجهراء الظليلة وشواطيء الفنطاس ذات الرمال الناعمة .. وصخور الجليعة العصامية السمراء كما كان يعيش في المدينة .. فيتجول على طريق السيف . ويشاهد الايدي الخشنة للامهات اللائي يغسلن ثياب اطفالهن بماء البحر . .كما عاش في زحام السوق وعمقه وانسانيته ، فشارك الحمال والعامل والبائع والطفل والسيدة والفتاة .. شارك كل هؤلاء القصص التي يعيشونها من موسوعة الحياة الصاخبة المتشابكة وكانت هذه المظاهر تشكل مقوما اساسيا في حياة كل فرد في الكويت .. وبقيت آثارها مطبوعة وراسخة في مخيلتهم وعقولهم .. ولذلك اصبح البحر مكونا جوهريا في حياتهم . اذ انه الحلم والامل والهدف للوصول الى لقمة العيش بل ان البحر اصبح هو المصدر الرئيسي للعيش ...

وقد اتضح من المعارض الفنية المتتالية لفناني الكويت منذ بداية نتاجهم الفني مدى تأثرهم بالبحر من خلال اعمالهم التي تصور مظاهر ومشاهد بحرية .. (سيف معرفي .. ايوب حسين — الحضرة .. محمد الدمخي — شوعي .. خالد القعود — بحارة .. سامية السيد عمر — الشونة .. عبد الله سالم — الوشار .. بدر القطامي — بوم .. عبد الله القصار — الغسالة .. عيسى صقر — الغسيل .. امير عبد الرضا — التدريز .. عبد الرسول سلمان — الصياد .. عبد الحميد اسماعيل — منظر سفن .. خزعل عوض — البحار .. سامي محمد — سمكة .. جواد جاسم — بحار كويتي .. خليفة قطان — سفينة كويتية .. محمود الرضوان — الميناء .. يوسف القطامي — سفن شراعية .. طارق السيد فخري ...)



— المرحوم محمد الدمخي — « بائعة الباجلة » — (١٩٦٥) .

الربابة :

كما ظهر تأثر الفنان الكويتي بالصحراء والبادية والقرى الكويتية .. لما يربط هذا الفنان بالصحراء والبادية .. اذ انه وجد نفسه واهله وعشيرته يعيشون عليها .. ان تراث

اجداده وآبائـــه مرتبـط بالصحراء وطقوسها وعوالمها . .فكان مـــن الطبيعي ان يرتبط هو كذلك بالصحراء والقرى والبادية ، فهو يلجأ ليحيـي ذكرى اهله وعشيرته .. فارتبطـت في مخيلته حاجات الصحراء وادواتها ومظاهرها من خيام الشعر والرعاة وحيواناتهم وابلهم .. ومظاهر الحياة البدوية بما تحمله من سمات عربيـة عريقة . تأصلت في سلوكيات ابنـاء البادية واصبحت مصدر اعتزازهـم وفخرهم .. ا البادية .. بدر القطامي — بيت شعر .. ابراهيم اسماعيل — بيت من القرية .. خالد القعود — الربابة .. محمد الدمخي — الراعي .. عبد الرسول سلمان — البخنق .. محمود الرضوان — الربيع .. احمد زكريا الانصاري — داخـل الخيمة .. ايوب حسين — الدلة .. طارق السيد فخري — قافلة .. امير عبد الرضا — بدوية .. عبد الحميـد اسماعيل — الراعي .. عيســى صقر ... ا .

الرقصات الشعبيـة :

ولما يمتاز به مجتمع الكويت القديم من انغلاقيـة على نفسه كباقـي المجتمعات العربيـة والاسلامية المحافظة .. فمن الطبيعي أن يكون لهذا المجتمع عادات وتقاليد شعبيـة متأصلة في مخيلة ونفوس اهلـه .. تحيي جميع المناسبات والاعـياد ، فكانت الرقصات والعادات الشعبية بارزة في انتاج الفنانين الكويتيـين .. ا ضارب الطبل ، خالد القعود — رقصة شعبية . ابراهيم اسماعيل — الطنبورة . سامي محمد الفريسة ، عيسى صقر — راقصة ، جـواد جاسم — العرضة ، عبد الرسـول سلمان — رقصة شعبية ، ماميـة السيد عمر — العزف المنفرد، عبدالله سالم — السامري ، ايوب حسين — حفلة شعبية . نسرين عبـدالله — المروس ، امـير عبـد الرضا — العروسة ، جواد جاسم — من الفن الشعبي ، طارق السيد فخري ..).

كما برزت في انتاج الفنانين الكويتيين كثير من الالعاب الشعبية للاطفـال كما في (لعبة المقصي ، ايوب حسين — لعبة التيله . عبد الرسول سلمان — الحيلة، بدر القطامي — لعبة البليول، امير عبد الرضا — الحجلة ، محمـد الدمخي — طق واطمـر ، ابراهيـم اسماعيل — الحجلـة ، عيسى صقر ... ا .

تسجيل معالم البيئة :

هكذا اقيمت المعارض وجالت فيها ريشة الفنان مسجلة انطباعاتـه ، متابعة رقصـة امواج الخليـج وانعطافات طريق السيف .. واهتزاز اشرعة السفن .. ولا نهائية كثبـان البر .. وموسيقى السماء الملبـدة بالغيوم . .وروعة الوان الافق عند الغروب .. والاعشاب المزهرة في مطلع الربيع .. والبيوت القديمـة التي تحكي قصة مجتمع محافظ يعتز بتقاليده وبتعاون ابنائه ، وبالروابط العائلية الراسخة .. وتروي احـلام الاطفال وملاعبهم .. واسمارهم حول مغامرات ابائهم في مناهات البـر ومخاطر البحر . من هذه اللمحـة نستطيع أن نقول ان ما طرأ مـن تغيير على الموضوعات الفنية منـذ ظهور الحركة الفنية في الكويت اي منذ بداية فترة الخمسينات وحتى نهايـة فترة الستينات كان يتبع اتجاهـات متباينة يجمعها هدف واحـد .. اذ اتجهت جميعا الى تحقيق الصفـة الواقعية وابراز عادات وتقاليد البيئة الكويتية مهملا جانب الاتجاهـات والاساليب الحديثة . .ونستطيـع أن نقرر أن الاتجاه الرئيسي لفـن التصوير والنحت منذ بداية الحركة وحتى نهاية فترة الستينات كان يتجه نحو تعبير اغزر عن البيئة بأكثر مما هو تمثيل لوقائع واحداث ، وطبيعي ان هذه الوجهة لم تكن مستمـرة اذ كان يقع بين الحين والحين فترات من



— سامي محمد — « امرأة » — (١٩٦٥) .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com



ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ـ احد معارض الربيع ، بصالة مدرسة المباركية ، في الكويت .

التوقف كان لا بد منها لتثبت الاساليب الحديثة .. وللانطلاق منها نحو مغامرات جديدة في عالم التعبير ، فالنتاجات التي كانت تصور عادات وتقاليد البيئة مثلا كانت تهيىء فرصا سانحة لتوطيد العلاقة بين الفنان والواقع عن ضرورة . تسجيل معالم البيئة ، الامر الذي كان ينأى بالاثر الفني عن فكرة الاتجاهات الحديثة ، كما كان يقصي الفنان عن بث مشاعره الخاصة في آثاره ، وقد ظهر رد فعل لهذا الاتجاه منذ بداية فترة السبعينات مما ادى الى تعدد الاتجاهات في الفن التشكيلي الكويتي .

البعثات الفنية :

وفي نفس فترة الخمسينات كان هناك شباب فنانون بدأوا بداياتهم الفنية بجانب معجب الدوسري وايوب حسين وهم : خليفة قطان ـ احمد زكريا الانصاري ـ طارق السيد فخري ـ قاسم عمر الياقوت ... وغيرهم .. حيث لقي هذا الجيل من الفنانين الشباب وهم في بداية نشأتهم الفنية في الكويت حفاوة واهتماما بالغين من (ادارة المعارف) وزارة التربية حاليا التي تولت ارسالهم في بعثات دراسية لدراسة الفن بالخارج . وكان في مقدمتهم المرحوم معجب الدوسري ، ثم الفنانون طارق السيد فخري وعيسى محمود واحمد زكريا الأنصاري وعبد الله تقي ومحمد علي حسن ثم عبد الحميد الصالح وجواد جاسم وغيرهم .. ذهبوا الى مدن العالم الفنية .. فرنسا ، انجلترا ، وأمريكا .. يلجون عالما جديدا في حياتهم .. يتعرفون لاول مرة، فتبلورت مواهبهم وقابلياتهم الفنية بالدراسة والقراءة والاطلاع والتجوال ثم العمل المتواصل المثمر البناء .. تأثروا بمعلميهم ، واخذوا عنهم الكثير الذي يخدم شخصيتهم الفنية .. ولم يستطيعوا التخلص من تأثيرات اساتذتهم .. فكان طابع التأثير ظاهرا في اعمالهم وواضحا .. ولكثرة



ـ معروضات كويتية في احدى قاعات العرض في أوروبا .

ارتيادهم المعارض والمتاحف والمكتبات تفتحت آفاقهم الفكرية وتعمقت رؤاهم الفنية .. اذ أن اعمالهم بعد الدراسة الفنية اصبحت تتمتع بتقنية عالية وبفكرة واضحة وبقدرة جيدة على التحكم باللون والضوء وتدرجاته والظل وابعاده .. على أن اساليبهم تعددت ، ووسائلهم كثرت ، وعاد كل فنان بأسلوب البلد الذي درس فيه وبالطريقة المتبعة هناك .. فتعددت الاساليب والاتجاهات وساد الاسلوب التكعيبي والتجريدي والتأثيري مع المحافظة على طابع البيئة والتمسك به .. واتجه كل فنان بأسلوبه نحو الاستقلالية والتميز عن اساليب اقرانه من الفنانين .

المعارض الفنية :

في مؤتمر الادباء العرب الذي أقيم في عام ١٩٥٨م .. كانت البداية للجيل الاول من فناني الكويت بالظهور على الساحة المحلية والعربية .. في تلك السنة اثبت الجيل الاول من الفنانين جدارتهم وقدرتهم .. ووضعوا انفسهم في المكان المناسب لهم في هيكل الحركة الفكرية في الكويت ، وكان أول مظهر من مظاهر تحركهم هو اقامتهم « معرض مسابقة البطولة العربية » في نطاق فعاليات مؤتمر الادباء العرب .

كان ذلك المعرض نقطة الانطلاقة لمعارض المستقبل .. ولفناني المستقبل الذي أظهرت بداياته الطيبة مستوى يبشر بمستقبل زاهر في عالم الفنون .

ومن الذين برزوا في هذا المعرض: (أيوب حسين ـ خليفة قطان ـ قاسم عمر الياقوت ـ جواد جاسم ـ محمد الدمخي ـ عبد الله القصار .. وغيرهم) .

وفي أواخر الخمسينات ... وبعد مضي معرض البطولة العربية

مباشرة جاءت فكرة اقامة معارض الربيع .

ففي ربيع عام ١٩٥٩م ، افتتح أول معرض للربيع في الكويت تحت رعاية (ادارة المعارف) حيث ينطلق الفنانون الى عرض أعمالهم الفنية ، فظهر انتاجهم مرتبطا بالبيئة الكويتية ، ولا يتعدى جغرافية الكويت .

وتتابع افتتاح المعارض واحدا بعد آخر .. وزاد عدد الفنانين تدريجيا، ولعبت المعارض هذه دورا ثقافيا وفنيا كبيرا .. وكان آخر هذه المعارض هو معرض الربيع التاسع عام ١٩٦٨ م .. وبرز في هذه المعارض معظم فناني الكويت .

المرسم الحر :

بعد تفتح البراعم الفنية وانطلاق الروح الابداعية لدى تلك البراعم .. وبعد تزايد اعداد الفنانين طرحت فكرة انشاء (المرسم الحر) ،فأنشأت (ادارة المعارف) ، المرسم الحر عام ١٩٦٠ م في مدرسة قتيبة سابقا .. ثم طرحت فكرة التفرغ للعمل الفني ..

وتوالت أسماء الفنانين الحاصلين على منح التفرغ وهم : (عيسى صقر ــ خليفة قطان ــ سامي محمد ــ خزعل عوض ــ عبد الله سالم ــ عبد العزيز الحشاش) ثم تفرغ الفنانون : (عبد الحميد اسماعيل ــ مساعد فهد ــ حمدان حسين) ثم انضم كل من الفنانين .. صالح العجيل ــ صبيحة بشارة ــ سعاد العيسى واخيرا زعابي حسين . بالاضافة الى عبد الله القصار الموجود في المرسم الحر .. هذا وقد اعفي من التفرغ كل من الفنانين .. (عبد العزيز الحشاش ــ صالح العجيل ــ حمدان حسين) ..

لقد كان المرسم بداية الانطلاق الحقيقية للفنون التشكيلية الكويتية .. وهو الاساس لمعظم الفنانين في الكويت .

الجمعية الكويتية للفنون التشكيلية :

وفي منتصف الستينات التقت أفكار مجموعة من الفنانين الذين كانوا يجتمعون بالمرسم الحر ، بدأت اول محاولة لانشاء جمعية للفنون التشكيلية .. وبعد عدة اجتماعات ولقاءات ، تم اعداد القانون الذي قدم الى وزارة الشئون الاجتماعية والعمل حيث تأسست عام ١٩٦٧ م.

وهناك أسماء كثيرة عملت الجمعية على تنمية مواهبهم وأتاحت لهم فرص التعبير والابداع .. واصبح لهم نشاط فني كبير .

وتتابعت بعد ذلك البعثات الدراسية خارج البلاد لدراسة الفن والتعمق فيه .. ومن الذين ارسلوا الى هذه البعثات خلال فترة الستينات وخصوصا الى القاهرة ، منهم .. (المرحوم محمد الدمخي ــ امير عبد الرضا ــ نسرين عبد الله ــ صبيحة بشارة ــ سامية السيد عمر .. وغيرهم) .

المجلس الوطني للثقافة والفنون والاداب :

وبعد أن طالت تجربة الفنانين التشكيليين الكويتيين ، وبعد ازدياد خبراتهم ، واتساع اطلاعاتهم على الفن العالمي بالدراسة احيانا ، وبالسفر أحيانا أخرى .. وبعد تزايد الوعي الفني لدى الجمهور .. أصبح باستطاعة فناني الكويت اقامة المعارض في الداخل والخارج ..

وفي فترة السبعينات ، نشطت حركة المعارض وازداد اهتمام الدولة فأنشأت المجلس الوطني للثقافة والفنون والاداب .. حيث يسعى الى الاهتمام بالثقافة والفنون الجميلة ونشرها وتذوقها .. بالاضافة الى تشجيع الفنانين والاشتراك في المعارض الدولية والعالمية، والاشراف على المعارض المحلية والخارجية ، بالاضافة الى استضافة فنانين عالميين واقامة معارض لهم في الكويت .

عبد الرسول سلمان



ــ حسين مسيب ــ «راحة» .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

المحاكمة

« كتابة مسرحية »

الى المحرومين الذين أعدموا قبل أن يولدوا



بسام هلسة

« ينزاح ستار المسرح ، يبدو السلطان وعن يساره يجلس مسعود (١) كاشف همه
يظهر في وسط المسرح رجل أربكه الجند ونظرات السلطان في طرف المسرح ، يبدو الحاجب ـ ينتظر أوامر مولاه »

احد الجنود : القينا يا مولاي عليه القبض
قد كان يناجي الارض

السلطان : ماذا تحكي ويحك !؟

الجندي : اقسم ، كان يكلم شيئا لم نره ابدا

السلطان : ـ للرجل الخائف ـ هل هذا حق ؟
حدثنا عما كان .

الرجل : الليلة ، كنت افتش عن ظلي الهارب .

السلطان : ـ يقطع سير حديثه ـ ظلك ! ؟
آه ما اعجب أمرك
هل يهرب منك الظل
أم تحسبني مختل العقل ؟

الرجل : ـ يلتمس العذر ـ حاشا لله
لكني ابحث حقا عن ظلي الهارب
فاذا بالارض تنادي ...
تخرج منها اصوات

السلطان : امر والله عجيب ....
ظل هارب !
ارض تخرج منها اصوات !!
نادوا الحاجب ...

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الحاجب : ــ يتقدم بين يدي مولاه ــ انا رهن أوامر
مولانا السلطان ...

السلطان : ابحث عن عراف ماهر
ولتحضر بعض الكهان

« الحاجب يحني رأسه ، يخرج من طرف المسرح ، يرجع بعد قليل »

الحاجب : قد جئتك يا مولاي
بالكهنة والعراف .

السلطان : يا عراف ...
اضرب في الرمل وخبرني عن سر الظل
اما انتم يا كهنة ....
فاحكوا لي عن أمر الاصوات

العراف : هل لك يا مولانا ...
ان تعطيني الاوصاف

السلطان : ــ تبدو في عينيه الدهشة ــ اية اوصاف !؟

العراف : أوصاف الظل الهارب

السلطان : لا اعرف عنها شيئا ....

العراف : ــ يتلفت حوله ــ اين الرجل الهارب ظله ؟

الرجل : ــ يقترب من العراف ــ موجود بين يديك ..

العراف : ــ يتأمل مرأى الرجل ويحكي ــ حسنا ...
الآن عرفت الاوصاف
لونك : اسمر ، احمر ، اصفر ، ابيض ..
تسكن فيه ... الوان

الرجل : ــ تلبسه الدهشة ، تسكن فيه ... الوان

السلطان : ما هذا يا عراف ... !! ؟

العراف : ــ يبتسم بخبث ــ الظل له عدة الوان
يا مولاي السلطان
قد يأتي في شكل دليل
او يلبس زي رقيب

السلطان : ولماذا هذا التنويع .. ! ؟

العراف : كي يكشف سر النفس
ويحاسب صاحبه الانسان

المهرج : ــ مهموما ــ ولقد يكشف سري ...
« يعرف اني اعشق سلمى بنت الحارس »

السلطان : ــ يصرخ فيه ــ اخرس قطع الله لسانك .
ــ يتلفت صوب العراف ويسأل ــ ما الحل اذن ؟ ــ

العراف : ــ يطرق حينا ــ ، ويحك الراس ، يتمتم ، ثم يقول :
ان نقتل هذا الرجل الهارب ظله

السلطان : ــ يصدر أمرا ساري المفعول ــ فليقطع رأسه ..

« ينقض الجند على الرجل ويُقطع رأسه »

المهرج : ــ ينهض فرحا ــ فلنرقص فرحا بالنصر

السلطان : ــ يبدو مشغولا ــ اين الكهان ؟
ماذا عن أمر الاصوات ؟

أحد الكهان : ــ يقترب قليلا ، يحني رأسه ــ
هذي الاصوات
هي أرواح الاموات
تأتي من جوف التاريخ
لتحاكم اهل العصر ....

السلطان : ــ يتعجب مما قال الكاهن ــ
لكن كانت تحكي مع صاحبنا المقتول ؟

الكاهن : هــذا حق .
فالميت يحكي مع ميت (٢)

السلطان : هل كان الرجل من الاموات ؟

الكاهن : هذاما كان .

السلطان : ما اغرب ما اسمع ...
لكن فلنرفع هذي الجثة ، ولنشرب شيئا ..

« يتناول كل منهم قدحا صبت فيه الخمر »

المهرج : ــ يحكي مع نفسه ــ لن يعرف سري الحارس

العراف : يحكي أيضا مع نفسه ــ
لو اني قلت لهم ...
ان السلطان بلا ظل
وأنا وجميع الموجودين بدون ظلال
لو اني قلت لهم
لقتلت كما قتل الرجل البائس .
لقتلت كما قتل الرجل البائس .

(١) مسعود هذا رجل أبلــه
يعمل عند السلطان "مهرج"
ويحب ــ كما اعرف ــ سلمى بنت الحارس من خمس سنين
ــ لا أدري كيف احبت مثله ! ــ

(٢) ذكروا في كتب الفلسفة وعلم النفس
أن الانسان اذا ما فقد الظل
يصبح من صنف الاموات .

ــ ستار ــ

ــ الكويت ــ

● بسام هلسة

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

شاعر وقصائد

من «كوسوفا» اليوغوسلافية

مارك كراسنيجي

Mark Krasnigi

تقديم وتعريب / عبداللطيف الارناؤوط

ولد الشاعر الالباني « مارك كراسنيجي » في قرية « غلافيجس » من ضواحي مدينة (بيا) اليوغوسلافية في ١٩٢٢/٥/١٩ . وانهى دراسته الابتدائية والثانوية في مدينة «بريزيرين» عام ١٩٤١ ثم انتقل الى ايطاليا للعمل .. وعاد الى وطنه ..

وبعد الحرب العالمية الثانية . عمل محررا في دار النشر « البعث » وفي « بلفراد » تابع دراسته الجامعية ونال شهادة الدبلوم في الجغرافيا عام ١٩٥٠ . وفي عام ١٩٦١ اشتغل بالتدريس في ثانويات بريشتينا ..

اهتم « مارك » بأدب الشعوب . وكتب قصائد كثيرة نشرها في المجلات الادبية. وقد عرف « مارك كراسنيجي» شاعرا تنضح من اعماقه احاسيس الانسان الحالم بالحياة المستمرة في التجدد والانطلاق ..

ومن كتبه المطبوعة

ـ حكايات جدتي صدر عام ١٩٥٣
ـ الدور الاول صدر عام ١٩٥٦
ـ الثلج الابيض صدر عام ١٩٥٦
ـ البريد صدر عام ١٩٥٩

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

١ ـ الامل :

في القلب وحده
يزدهر الامل ..
كأعشاب غابة متموجة
كبراعم على الاغصان ..

★ ★ ★

الامل ينبوع
لن ينضب ماؤه أبدا ..
انبثق من شفاه السفوح
وصار شوقا
بل موجا على سطح البحر
وجدناه في زبد الموج
التقينا به في ضوء القمر

★ ★ ★

الامل شمس
لا وجود للحياة بدونه
سواء وجدته او فقدته
يبقى حلما ناعما

★ ★ ★

الامل بذرة
تنمو وتكبر
في الربيع ينثر كالحب في الحقول
انتظارا لدفء الايام ..

★ ★ ★

الامل خبز ..
دونه لا اثر للحياة بيننا
بل هو تمثال قائم
لا تستطيع المدافع اصابته

★ ★ ★

بالنسبة لنا ..
ليس الامل حلما
بل هو حقيقة وواقع
هو مستودع من المتفجرات
تفجره شرارة من نار

★ ★ ★

الامل .. قوس قزح



تتعانق الوانه الزاهية
في السماء ..
وبعد العواصف والامطار
تشرق ابتسامته
امام المعرفة الناصعة
المغمورة باشعة الشمس

٢ ــ شعبي

لم يحالف الحظ شعبي
لم يرفع احد اليه هدية
هو يائس أبــدا ..
الفــرباء
دفعوا به الى الجمر واللهب ..

★ ★ ★

تاريخ شعبي طويل ..
وعر .. مزدحم بالمآسي البطولية
المستنقعات والحفر تحت الاعشاب..
كثيرة في ارض ذلك التاريخ
وشعبي لم يفقد بسمة الامل ..

★ ★ ★

لشعبي .. فصل الشتاء ..
وكذلك فصل الصيف القصير
وبقية من نور الشمس
الظلام الطويل جثم عليه ..
والطريق ضيقة تحت الانفاق ..
حقولنــا
غدت جرداء .. يابسة ..
وتلاشت الافكار لاجلها
تعلقت بالسيوف اللامعة .
التي تقطع أيدي المعتدين ..

★ ★ ★

الاحجــــار ..
تراكمت فوق العظام المهشمة
وفوق ميادين بلادنا ..
تدحرجت جماجم الاعداء ..

★ ★ ★

تاخر فصل الصيف ..
فلم يحظ به شعبي ..
وحجبت الغيوم الداكنة .. الشمس.
احترقت منازلنا مرارا ..
لكن شارة الحياة ..
كانت ابدا تنعكس في اعماقنا ..

★ ★ ★

الجميع .. يعرف تاريخنا ..
بعدما حارب شعبي ببطولة ..
وانتصب في عرينه سيدا حرا ..
بلا استغلال لجهود الاخرين ..

★ ★ ★

من اعماق شعبي ..
انتفض بطل خالــد ..
تألق نجمه في سماء بلادي
وهناك كثيرمن الشهداء الذين فقدناهم
حتى ملأنا صدور الاجيال ..
بأوسمة الحرية ..

★ ★ ★

اسماء .. عناوين عديدة .
كأشجار عملاقة في غابة ثلجية .
فهناك مثلا .. « توبيليني »
الذي حارب الاقطاعيين
بعدما باعونا كقطعان شاردة ..
سنرمي .. ونقذف ..
بالماكرين المخادعين ..
الذين باعوا ابناء الشعب .
وساوموا الاعداء على مصيره ..
سنقذف بهم الى اعماق الجحيم .

★ ★ ★

لا .. لن يفقد شعبي ..
روح البطولة والفروسية
لن يخشى السيف ..
لن يوقفه وابل الرصاص .
ها هو ذا الامــل ..
يتراءى امام مستقبله ..

★ ★ ★

نحو السماء .. رفع راية الحُرية ..
ولم يدع أعداء البلاد
يمرحون .. وينعمون باشعة الشمس
لقد حصدهم .. ومسح آثارهم ..

★ ★ ★

تعاليم الحياة ..
اضاءت كلمات تاريخنا
منحت اشعة الشمس للعالم ..
في الزوايا المظلمة..والاماكن المهجورة
لتطبيق القــانون .. والشريعــة
الانسانية

عبد اللطيف الارناؤوط
ــ دمشق ــ

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ملاحظات أساسيّة حول الشعر والنقد

بقلم : هـ. و. حـــارود

ترجمة : شوقي ابو النجا

أغلب الظن أن « سينيكا » كان أول من قال بأن ناقد الشعر لا بد أن يكون هو نفسه شاعرا . ولكم تمنيت لو ان لي من العلم ما يمكنني من تحري حقيقة هذا الكلام ، وان أقوم باستعراض كامل لتاريخ النقد . ولكنني أميل الى الاعتقاد بأن «سينيكا» قال أكثر قليلا ، او أقل قليلا ، من الحقيقة . ذلك أن استعراض الاسماء يدل على انه اذا لزم ان يكون ناقد الشعر شاعرا ، فهو غالبا ما يكون شاعرا غير مجيد . لقد كان « ارسطو » ، اعظم النقاد على مدى التاريخ ، قد كتب شعرا . الا ان شعره كان تافها الى الحد الذي اصبح معه مجهولا من المهتمين بالنقد انفسهم .

واذا ما كان هذا هو حال النقاد عندما يقرضون الشعر ، فالشعراء اذا ما حاولوا النقد لن يكونوا احسن حالا . لقد كان « جيته » ، هو اعظم شعراء القرن التاسع عشر في اوروبا ولكنه كان في نفس الوقت ابأس النقاد ، وكذلك فيكتور هوجو وأناتول فرانس . ومن ثم فعندما يتساءل أعداء النقد وهم كثيرون « اذا لم يكن بوسع الشاعر العظيم ان يعرف ما هو الشعر ، فمن اذن يستطيع ؟ » ، فان ما يجب علينا ان نقوله ردا على ذلك : ان النقد المجيد هو الذي يقوى على ذلك . فنحن لا نستطيع ان نطلق الشاعر وراء الشاعر ، ولا اللص في اثر اللص ، والا كنا جاهلين بمزاج كل منهما ، فلو ان الطبائع الانسانية لم تختلف لما وجد اللصوص ولما كنا بحاجة الى رجال البوليس ، وعلى ذكر رجال البوليس احب ان اقول انني من اصحاب الراي القائل ان للشعر قوانين .

وهنا يجب ان نقف قليلا لنرى ما نعني بقوانين الشعر ، فأغلب الظن اننا نعني ان للشعر قوانين لا تشبه قوانين الدولة بل قوانين الطبيعة ، لان القوانين البشرية تتغير خلاف قوانين الطبيعة الدائمة الثابتة . فنحن عندما نغير قانونا بشريا من قوانين الدولة لا نحدث تغييرا فعليا وانما نوفق بين مظهر من مظاهر السلوك البشري وبين حالة جديدة من حالات الحياة السياسية او الاجتماعية فنصوغ القانون صياغة جديدة ليتسنى لنا هذا التوفيق . وهذا هو شأن قوانين الشعر لا يكتمل تعبيرنا عنها في اي فترة من الزمن ، بل نحتاج الى تفهمها تفهما جديدا وصياغتها صياغة جديدة كلما ازدادت خبرتنا اتساعا وعمقا ، بيد انها مع ذلك تظل ثابتة لا تتغير مثلما تتغير القوانين الاخرى التي نقوم باستخلاصها من دراستنا للعالم الخارجي . وليس من الصعب علينا معرفة السبب في هذا ، فالشعر يظل قائما كما هو لانه منذ البدء يرضي حاجة روحية في الانسان ، ويعبر عن رغباته وينمو ويتطور تبعا لحاجاته ، اما الطبيعة فلا تقيم وزنا لرغباتنا ولا تعبأ بذلك ، بل ان غرضها الرئيسي يبدو ، في كثير من الاحيان ، وكأنه موجه لدحض هذه الرغبات والوقوف

في سبيلها .

ولكن المشكلة اننا نتحدث عن نقد الشعر اكثر مما يجب وكاننا نتصوره شيئا معقدا وغريبا ، وصعب المزاولة والادراك ، مع اننا لا نختلف الا نادرا في معرفتنا للشعر الجيد ، وهي حقيقة جديرة بالذكر اذا تذكرنا اننا كثيرا ما نتشاجر ونختلف في فهمنا للتاريخ او العلوم او الدين نفسه . ولكن ماذا يجب ان يكون عليه غرض الناقد ؟ .

لعل الغرض الرئيسي له هو اثارة الشوق وتزويدنا بالمتعة والسرور . فالنقد فن اجتماعي ، وربما كان هذا هو سبب فشل الشعراء فيه . وقدرة الناقد على تأدية هاتين الوظيفتين ـ اثارة الشوق وجلب السرور الى الغير ـ تتحكم فيها عدة عوامل منها: مدى معلوماته ، تنوع طريقته ، واثر شخصيته ، وفي رايي ان تنوع الطريقة اهم من مدى المعلومات . فكثيرون من النقاد لهم طريقتهم المفضلة التي لا تتغير ، فمنهم من يفضل الطريقة الشرحية ، حيث يعتقدون بأن الخدمة الوحيدة التي يمكن للناقد ان يؤديها للشاعر هي ان يشرح معنى قصيدته ، ومنهم من يعتقد بأن القصيدة قد خلقت كما هي فلا يمكن لمعانيها ان تبرز الا على هذه الصورة ومن ثم فهم لا يملكون الا استقبالها ومدحها .

ومن النقاد من يعتقد ان افضل السبل لتفهم الشعر هي أن نفهم الشاعر نفسه ، فنصوره في حياته نحصي عاداته ونحلل نفسيته فنتعرف على مواطن الضعف والقوة فيها ، ربما اعاننا هذا على ادراك شعره او على الاهتمام بشخصه ، ومن النقاد ايضا من يحاول ان يفهم الشعر عن طريق دراسة الاحوال الاجتماعية والسياسية للعصر الذي يعيش فيه . وغني عن القول ان افضل هذه الطرق هي تلك التي تستفيد من هذه الوسائل كلها ، ذلك أن غنى التناول وتنوعه واستفادته هو ما يجب ان يسعى اليه النقاد ليكتسب نقدهم تلك القوة والبهاء المنشودتين .

ولسوف تتضح اهمية هذا السعي بالنسبة للنقاد اذا ما وضعنا في الاعتبار تلك الحقائق الاتية . نحن نعلم ، على سبيل المثال ، ان المواهب الفنية لا يمكن استخدامها فيما هو انفع من التعبير عن النفس ، والتعبير عن اي شيء في ذاته عمل عظيم ، ما دام صريحا وصادقا . ولكن ماذا نعني بالتعبير عن النفس ؟ .

ان الحقيقة شيء نسبي ، لكن هذا لا يعني انها شخصية . فلو أن جمال الشعر وقوانينه كانت شخصية لعشنا جميعا نقادا وشعراء وقراء في سعادة بالغة ، اذ يصبح من الميسور ان نكتب او نأخذ ما يكتبه الاخرون ونجعله ملكا لنا دون ان نهتم بأي اعتبار اخر . ولكن حياتنا في هذا الفردوس سوف تكون عديمة المعنى ، لان التعبير عن الذات في حقيقة الامر، عبارة لا معنى لها . ولعله من السهل ان نقول ان الشعر هو رد الفعل الشخصي الذي يحدثه الكون على نفس الشاعر ، وان النقد هو رد الفعل الشخصي الذي يحدثه الشاعر على نفس الناقد . ولكن بمجرد ان نفكر في هذه الردود الفعلية نكتشف ان نسبة الذاتية فيها نسبة تكاد لا تذكر وانها في صلبها جماعية دون شك . فالواحد منا عندما يحاول ان يعبر عن ذاته يكتشف امرين ، اولهما انه يجد نفسه مضطرا الى الاجابة او التعبير عن نفسه بالفاظ وعبارات ليست ملكا له ولكنها تستمد جمالها وقيمتها من كونها جزءا من تقاليد لا حد لها ولا نهاية . وعلى هذا نجد ان الادب بدل ان يكون تعبيرا عن النفس هو في الحقيقة نوع من ضغط النفس، اعني ضغط المادة التي تتكون منها شخصيتي الى اشكال من الفن جماعية لا املك منها الا ذلك النصيب الذي يمتلكه غيري في شركة متسعة الاطراف انصبتها موزعة بين البشر اجمعين . وثاني هذين الاكتشافين انني في كل محاولة اقوم بها للتعبير عن نفسي يضطرني التفكير الى الاستعانة بقائمة من الممتلكات والقيم التي لا املك الاستئثار بها . اذ اين يمكن ان نجد قيمة كل منها ؟ اعني كل ما يمكن ان يكون ذا قيمة فينا ولنا ؟. ان قيمتي تكون حيث يكون ما اسميه « مشهدي » في الاشياء الجمة التي ليست انا ، وفي أصدقائي وكتبي وربما ضياعي وعقاري ، اعني كل ما له قيمة بالنسبة الي ، ولكن ليس انا على وجه الدقة .

والقليل منا يعرف ان عقولنا خاوية . على ان هذا الفراغ الروحي قوة في نفسه . فالافكار التي تجول في رؤوسنا والاقوال التي تأتي على السنتنا ليست في الحقيقة ملكا لنا . وانما نحن نشارك الكون فيها ومن ثم كان احساسنا بهذا الايمان المتسع العريض الذي تستمتع به النفس لانها قطرة بين قطرات عديدة . وبالمثل كانت روح الشاعر العظيم التي تنبيء عن المستقبل لا تعبر عن نفسها وانما تعبر عن روح الكون المنبثة .

فلو قدر لنا اذن ان نصوغ لنقاد الشعر ديدنا ثابتا لبدانا بالقول التالي : « نحن نؤمن بأن الشعراء ملهمون » . ولكننا يجب ان نعي بأن الالهام يختلف في جوهره عن الاستقراء المنطقي . ونحن نجامل الشعراء لا اكثر عندما نقول انهم ملهمون . والسبب في ضعف نقدنا هو ضعف ايماننا بالهام الشعراء . ونحن يجب الا نكتفي بأن نؤمن بالشعر باعتباره تعبيرا عن نفس او انه مجرد رد الفعل الذي يخلفه الكون على الشاعر او نعتقد بأن البيئة لا تؤثر على الشاعر بل فيه ومعه . يجب علينا ان نعرف بأن الشاعر لا يمتلك ما لديه من خبرة ، بل هو نفسه هذه الخبرة ، سواء كانت في الماضي ، او الحاضر ، او المستقبل .

شوقي هاشم ابو النجا
ـ القاهرة ـ

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com



كل زيادة
ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

همسات من أجلها

مي زيادة .. اسمك هذا الصغير اللطيف كان يشدني دائما .. يناديني كي أبحث عنك اينما كنت .. عشت معك اوقات حلوة وساعات ملأت نفسي بالهدوء والحنان والاطمئنان وكأنك مني على بعد خطوة . امر بعيني على كلماتك مرة وثانية وثالثة ثم اشرد بعيدا وكأني الاحق اشباحك المتلاشية في العدم بل لكأني اتمثلك في تلك اللحظات تجلسين في صمت وخشوع وعيناك هناك ذاهلتان تسبحان في الافق البعيد تبحثان عن حلم ضائع وأمل آت .. ثم تتناولين القلم لتخطي ما يجول في خاطرك وقد لمعت عيناك بالدموع لفرط رقتك وشفافية روحك .. أناملك التي خطت تلك الكلمات في لحظة ما من لحظات الحياة المنصرمة اجدها الان تخطها في ذهني في عمق واصرار .. قرات بقلبي وشعوري فأحسست بنبض روحك ولفحة انفاسك فتهت بين السطور وغفوت مع الكلمات وضعت هناك بعيدا حيث لا احد غيري وغير روحك المجنحة الطائرة . حياتك وادبك يجعلاني اتأمل طويلا وافكر كثيرا واخشع في صمت واتنهد في حرقة .. رقيقة انت .. شامخة انت .. غامضة انت .. بل فيلسوفة انت .. نعم انت فيلسوفة في كبريائك وفي عبقريتك وفي عنادك .. اي امراة انت ؟ ومن اي شيء خلقت ؟ انك مزيج غريب غامض يسحر ويفتن ويأسر الالباب .. لك لمسة سحرية تشملك وقوة تتألق بها نفسك وانغام ينثرها لسانك ويزخرفها قلمك وفكر يتدفق ويتدفق كالسيل المنفلت .

كل شيء مما حولك يوحي اليك بألف فكرة وفكرة .. كل خاطرة تلهمك آلافا غـــيرها .. فتكتبين وتكتبين .. تتحدثين وتناقشين. تجادلين وتعلقين وكأنك فيكل ذلك تنثرين قطرات من ندى رذاذا من عبير . اسلوبك غريب ليس هو بسلس المتدفق ولكنه موج بموجات خفيفة لا بد ان يتوقف القاريء عند كل موجة ليرقب تثنيها اللطيف ثم انبساطها في رقة ورشاقة .

كنت زهرة نادرة في ادبك وعلمك وعبقريتك بـــل وانوثتك التي كم فتنت القلوب وحركت الاشواق واذكت نار الحنين والوجد في نفوس العطش . كان حولـــك الادباء والعلماء واساتذة الفكر ورسل الثقافة .. كانوا عقدا نظيما ناصعا في صالونك الادبي الحافل (١) .. فأي فكر وسحر كنت تبثين بينهم واي اعجاب كنت تنالين ؟ استمعي الى اسماعيل صبري وهو يقول :

ان لم امتـــع بمي ناظـــري غـــدا
انكرت صبحـــك يا يـــوم الثـــلاثاء

واستمعي الى احمد حسن الزيات يسجل همسة من اجلك في كتابه (من وحي الرسالة) ، ها هو يقول: « تشارك في كل علم وتفيض في كل حديث وتختصـــر للجليس سعادة العمر كله في لفته او لمحة او ابتسامة ، كان فيها افضل ما في الرجل وخير ما في المراة كـــان يسمعها خطيبة او يشهدها محدثة كان يحسبها ـــ وقد استدارت على راسها الانيق هالة من السحر والفتنة ـــ قليوب احدىبنات جوبيتر التسع والهة الفنون التسعة، قد سرقت من اخواتها اسرار فنونهن ثم هبطت من فوق جبل البيرناس الى ضفاف النيل » .

اما الامير مصطفى الشهابي فقد قال عن الاثـــر الذي تركه في نفسه صالونك الادبي : « وكأنني كنت في هيكل الادب الاسمي وقدس النبوغ والعبقريـــة واذا بأحاديثها تنم عن ادق ما تلمسه مشاعر الانسان وقـــد خيل الي انني في حضرة سيدات الملأ الاعلى اللواتي كنت اقرأ عنهن في كتب كبار الادباء الفرنسيين وما كدنا نودعها ونخرج حتى ابتدرني الصديق العلامة امـــين المعلوف قائلا : « انها مخيفة . فقلت : صدقت ومـــاذا اخافك منها ؟ قال : حدة ذكائها ووفرة معلوماتها الادبية. قلت : اما انا فمفرط احساسها لدقائق الحديث حتى كدت ارى نفسي غير قادر على مجاراتها فيه » .

ونطق احمد شوقي شعرا رف من حولك جذلانا حييا .. قال :

اسائل خاطري عمـــا سباني
احسن الخلق ام حسن البيان
رايت تنافس الحسنين فيهـــا
كانهمـــــا لميـــة عـــاشقـــان

اذا نطقت صبا عقلي اليهـــا
وان بسمت الي صبـــا جناني

الاف النظرات كانت تحيطك ولم يكن لديك متسع من الوقت كي تفسري كل نظرة على حدة .. فهذا معجب وهذا عاشق وهذا يائس وهذا حاسد .. منهم من يتميز غيظا وحسرة ومنهم من كان يذوب وجدا وولها .. فماذا كان موقفك حينذاك ؟ لا شيء غير ان تمنحي هذا نظرة وهذا ابتسامة وذاك اشارة .. فهل كانوا قانعين بذلك؟ الحقيقة انهم كانوا حائرين لا يدرون ماذا يريدون .. هم يسمعون ويناقشون ويجادلون ثم يخرجون وقد علق في نفوسهم صدى لذيذ ممتع .. ورن في اسماعهم جرس جذاب .. وطافت في خيالهم صورة خلابة . كان عطاؤك سخيا شاملا ... اعطيت شعرا وادبا ونقدا واجتماعا وفلسفة وفكرا وفنا وموسيقى فجمعت من الثقافة ارقاها وأعمقها وانضجها ثم تفاعل كل ذلك داخل تلك النفس الخصبة الغنية فأثمرت وأينعت .

ها انا اتغلغل في اعماق نفسك الفتيه حينما تفتحت ورودك في ربيعك الباكر فأجدك فتاة غضة رقيقة المشاعر واسعة الخيال في عيونك حلم الصبا وفيقلبك عالم واسع خاشع في صمت وفي قلمك بشائر المستقبل وامل الايام الاتية .. واني لاتخيلك الان تتجولين في غابات لبنـــان الهادئة الساحرة وقد راحت عيناك تتأملان ما حولك وما فوقك بذهول الشاعر واحساس المتأمل وخشوع الراهب ثم تمسكين بقلمك لتخطي ما يموج بذلك القلب وما يجيش في تلك النفس المتعطشة الوالهة .. ها أنا اسمع همساتك الحالمة تقول : « يا لاصوات الصيف الساطع على هذه القمم التي تبدو من البحر متوغلة في تيه الاثير الذي لا يدرك ولا يحد ! يا للساعات الحلوة التي تنقلني خالية متريثة حالمة منعمة طليقه من قيود الاجتماع ومقتضيات العالم ! بأي شوق ، بأي شوق انتظرتها طول الشتاء !

هذا الشفوف المبهم في الجو لا لون له ولا اسم به يعرف . انه يشبه شحوب الليل أو يقبل الضحـــى أو اكمداد الضياء اذ يقبل الشفق . يشبه نفسا نقية اذ تشجيها الذكرى المؤلمة . أو كأنه عينان كبيرتان جميلتان كادت تغشاهما الدموع .

يا هذه البرية ! يا هذا الخلاء في لبنان ! اني لالقى على كل صخر من صخورك ، تحت كل شجرة مـــن اشجارك في كل مذهب من مذاهب أوديتك ، نثرات من كياني : انثر الابتسامات والزفرات والاحلام والاغاني والامال والاعجاب والتأمل ... يلوح لي احيانا اني طرحت عليك كل ما في حولي وكل ما في وسعي واني القيت اليك بنهاية منتهى اقتداري . ولكنني كلما احببتك زدت نموا واقتدارا . كلما دفقت عليـــك يا قمم جبالي

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

عواطفي وذهولي تجدد في الحب وذكت الحماسة فاذا بي مثلك باقية . احبك وسأحبك على الدوام » .

وانتقلت الى مصر فاحتضنتك في قلبها زهرة نادرة الشذا وبحرا غامر العطاء. عرفتك أول ماعرفتك شاعرة غضة الاحساس وشحرورة يتراقص تغريدها هادئا رقراقا ناثرا شذرات من رقتك وحيرتك وكآبتك وحنانك وحنينك (٢) .

وتتوالى الايام لتنضج اثمارك وتشحن عقلك وقلبك بالفكر والقوة والاقتدار والثقة والحماس فاذا اسمك على كل شفه وفي كل قلب واذ بقلمك يحفر على الورق باصرار وشجاعة . فها انت اديبة ذكية الفؤاد وها انت خطيبة بارعة ومحدثة تخلب الالباب بل ها انت ناقدة ومترجمة وقصصية ومحاضرة . رايتك تصورين عصرك الزاهر بكل صدق وأمانة . ناديت بحقوق المراة ودافعت عنها ببسالة وايمان وثقة ورفعت صوتك عاليا مشيدة بالرائدات الاوائل (٣) متلمسة خطواتهن الثابتة باعجاب ملأ قلبك ووجدانك فما وقفت على منبر الا وكان للمراة من حديثك نصيب .. ها هي اصداء صوتك تردد « أتكلم الان بحرقة كأني صوت المراة الصامت منذ اجيال وتستمعون الي باشفاق كأنكم نفس الرجل المشتقة منذ ابتداء الدهور . النفس الكبيرة المبعثرة تستجمع قواها للاصغاء والصوت الخافت الذي لم يتعود الا همس الطاعة وتمتمة التمرد المبهم يرتفع الان آتيا من بعيد من عمق اعماق الدهور السوداء من اقصى اقاصي الخليقة العجيبة آتيا من القبور من البحار من عناصر الحياة جميعا صارخا : ايها الرجل ! لقد اذللتني فكنت ذليلا . حررني لتكون حرا حررني لتحرر الانسانية » .

وفي ذلك الزمان منذ اكثر من ستين عاما فتحت نافذة على فكر العالم الغربي وما اندر مثقفي العرب الذين كانوا قد اطلعوا على ذلك الفكر في ذلك الزمان . كان لعبقرية اللغات التي تعتمل في ذهنك (٤) أثر واضح في تعريف ابناء العروبة بأعلام الغرب ونوابغه وآدابه وتراثه وفلسفته وذخائره الفكرية . اطلعت على كل هذه الاثار وتشرب عقلك وروحك بها فكتبت بصدق وحرارة واخلاص . كتبت عن هوجو وديكارت وموليير وفولتير ومدام دى ستايل ومايكل انجلو وبتهوفن وبرغسون وغيرهم كثير . فمن كنت يا مي سوى بشير رحيم يفتح الف كوة من نور وبستان زاخر معطاء يتضوع اريجا ويفيء ظلا ويترقرق زلالا وشهدا .

وعرفت يا مي جبران خليل جبران من خلال مؤلفاته ورسائله ورسومه .. عرفته انسانا ليس كالناس .. في كلماته شعور الفنان وفي صوته البعيد نداء عميق النبرة مفعم بالثقة والجدة وفي روحه التائهه الم ووحشه وغربة .. وما كان لعناصره ومكوناته الا ان تجد في ذاتك مرآة صادقة لها بل تجد خيطا يمتد عبر البحار والمسافات ليربط بين الروحين والشخصين . وعرفك جبران اول ما عرفك صديقه بعيدة تبعث له خطاباتها معلقة على قصصه ومقالاته وناقدة لها .. واطلع على آرائك وتلمس روحك وتقبل انتقاداتك بمزيج من اللذة والالم .. اسمعيه في رسالته اليك « .. ولقد انصرفت عن كل ما وجدته بانتظاري في هذا المكتب لاصرف نهاري بكامله مصغيا الى حديثك — ذلك الحديث العلوي المتراوح بين العذوبة والتعنيف وانني وجدت بعض الملاحظات التي لو سمحت لنفسي الفرصة ان تتألم لتألمت منها ولكن كيف اسمح لنفسي النظر الى شبه سحابة في سماء صافية مرصعة بالكواكب ؟ وكيف احول عيني عن شجرة الياسمين المزهرة الى ظل احد اغصانها ؟ وكيف لا اقبل وخزة صغيرة من يد عطرة مفعمة بالجواهر ؟ ما اجمل رسائلك يا مي وما اشهاها فهي مثل نهر من الرحيق يتدفق من الاعالي ويسير مترنحا في وادي احلامي ، بل هي كالاوتار .. » نعم انه لا يملك الا أن يرق ويلين ويترك قلمه يسيل عذوبة .. ها هو يهمس لك « هل تعلمين يا صديقتي بأني كنت اجد في حديثنا المتقطع التعزية والانس والطمأنينة وهل تعلمين بأني كنت اقول لذاتي هناك في مشارق الارض صبية ليست كالصبايا قد دخلت الهيكل قبل ولادتها ووقفت في قدس الاقداس فعرفت السر العلوي الذي اتخذه جبابرة الصباح ثم اتخذت بلادي بلادا لها وقومي قوما لها ، هل تعلمين بأني كنت اهمس هذه الاشواء في اذن خيالي كلما وردت علي رسالة منك ولو علمت لما انقطعت عن الكتابة الي ». لا اظن يا مي بأن احساسك وذكاءك وفطنتك لا ينبئانك بأن الذي يسري ويترقرق بين هذه الكلمات والسطور هو الحب. وما كان لقلبك النبيل الا أن يستجيب ويخفق ذلك القلب المعاند المكابر الشامخ الذي يتساقط امامه المحبون يأسا وقنوطا ولكنه الان يخفق لانسان بعيد بعيد لم تره عيناك قط لكن قلبك ووجدانك وشعورك كلها تتجمع في سن قلمك الرشيق الذي يقطر وجدا وحنينا .فيقول: « غابت الشمس وراء الافق . ومن خلال السحب العجيبة الاشكال والالوان حصحصت نجمة لامعة نجمة واحدة هي الزهرة الهة الحب . اترى يسكنها كأرضنا بشر يحبون ويتشوقون ؟ ربما وجد فيها من هي مثلي لها واحد جبران حلو بعيد بعيد هو القريب القريب تكتب اليه الان والشفق يملأ الفضاء وتعلم ان الظلام يخلف الشفق وأن النور يتبع الظلام وان الليل سيخلف النهار والنهار سيتبع الليل مرات كثيرةقبل ان ترى الذي تحبه فتتسرب اليها كل وحشة الشفق وكل وحشة الليل فتلقي بالقلم جانبا لتحتمي من الوحشة

في اسم واحد : جبران ! »

وكانت رسائلك لجبران ملجأ امن وطمأنينة لتلك الروح القلقة المستوحشة ووكرا دافئا يجد فيه الراحة والحنان بل بلسما لجراحاته وآلامه. فها هي العلة تقسو عليه وهو يجالد ويقاوم ليبدع شيئا يرضي طموحه ويحقق آماله في الوصول الى القمة التي ينشدها وكأنك يا مي بتعليقاتك وانتقاداتك حركت في نفسه الف بركان يزمجر ويدمدم ويتلهف للانفجار كي يضيء بحممه ونيرانه عالمه المنشود وقمته المبتغاة . ها هو يقول : « أنا مديون بكل ما هو « أنا » الى المرأة .. منذ كنت طفلا حتى الساعة والمرأة تفتح النوافذ في بصري والابواب في روحي ولولا المرأة الام والمرأة الشقيقة والمرأة الصديقة لبقيت هاجعا مع هؤلاء النائمين الذين ينشدون سكينة العالم بغطيطهم » .

ويموت جبران مخلفا في قلبك جرحا لا يندمل والما لا يشفى وما كان لجرح جبران الا أن يضاف لجراحات أخر تنز في قلبك المعذب ونفسك التائهة .. مات أبواك . ومات اليفروحك وشقيق نفسك فلم يبق لك غير الفراغ والوحشة واجترار الالام . وتحت هذه الغمامات السوداء الكالحة يضج في رأسك يا مي شعور رهيب ... شعور بالجفاف والنضوب واليأس وخيبة الامل .. ويرف حولك الربيع فلا يذكرك الا بخريفك الكالح المخيف .. وتلك تأوهاتك تسيل في اذني معذبة تعبة :

« اليأس خالط صفائي والكآبة حلت في مياهي :
ولا مستني مؤاسية في الظلام الافنان فاستحالت
مياهي عبرات وغدا نشيدي شهيقا وانتحابا :
الربيع الحزين الحزين ، هو ذا الربيع ! ربيع الجحود والهجران ، كيف احتمل الربيع ؟
انا الصحراء القحطاء وهو ذا الربيع ! الصحراء الواجمة الكتوم ، كذلك كنت وكذلك اكون !
انا مملكة العي والبكم والصمم والعمي ! انا منطقة السآمة الآيسة والغليل القتال !
مائي سراب وظلي تراب وسبلي أتاويه وملامسي لوافح وسموم ومعالمي مجاهل المفاوز وافجاج الاهوال
انا في تحطي المفروض وسكوتي المستمر أسيرة الوحدة والانزواء . انا في رحاب الارض حبيسة .
انا تزدردني الرمال على الدوام فأنى لي أن أعول : ليس لي الربيع ، ليس لي الربيع ! ربيع الرمال والسعير ما حاجتي الى الربيع ؟ » .

ويزداد ألمك وعذابك فيشل روحك وفكرك وادراكك تلك كلماتك تقطر ألما (٥) « اني اتعذب شديد العذاب فأنا اكثر من مريضة وينبغي خلق تعبير جديد لتفسير ما احسه فيّ وحولي . اني لم اتألم ابدا في حياتي كما اتألم اليوم . ان هناك امرا يمزق احشائي ويميتني في كل يوم بل في كل دقيقة . لقد تراكمت علي المصائب في السنوات الاخيرة وانقضت على وحدتي الرهيبة التي هي معنوية اكثر منها جسدية فجعلتني اتساءل كيف يمكن لعقلي ان يقاوم عذابا كهذا . »

ويضاف الى كل ذلك تكالب أقربائك على املاكك وتراثك وادارتهم لشؤونك المالية رغما عنك ثم اخيرا الحجر عليك ونقلك الى مستشفى العصفورية في بيروت بحجة اختلال عقلك واصابتك بالجنون .. كل ذلك يحدث لك وانت تتمزقين ألما وعذابا وتشعرين بالحجود والهجران وتنكر الاصدقاء والاقربين .. ياللوعتك الحرى « واه يا بيروت ؟ كيف احتملت ان اجتاز شوارعك في ذلك الموكب المشين الاليم ؟ كيف احتملت الدموع التي سكبتها في تلك السيارة وانا بين ذلك الطبيب وتلك الممرضة اشعر بوحدة رهيبة في الدنيا وأرى القدر المروع المعد لي دون ان ادري لماذا ؟ » . ودامت المحنة سنتين مريرتين اشعرتك بالظلم والاضطهاد حتى تحرك رجال الادب والصحافة لانقاذك ودفع الجور عنك بأدلة لا تقبل الدحض والانكار وما كان هذا الاثبات الا أن يصدر منك انت .. يصدر عن عقلك النير ولسانك الفصيح وادراكك التام .. نعم كانت هذه الثلاثة هي الحجة الدامغة لرفع تلك التهمة الشنعاء وهي الجنون . فها انت تنتصرين بل وتعلنين هذا النصر على الملأ حين القيت خطبتك الرصينة الساحرة التي ضيعت عقول الكثيرين اسامعة يا مي فقد قالوها وان كنت لم تسمعي .. قالوا «والله جننتنا» الم تسمعي تصفيقهم في النهاية ؟ بلى فها انت تتهللين مأخوذة بنشوة الظفر وتحتضنين طاقات الزهر المرفوعة اليك ثم تنحدرين الى الجمهور المحتشد على الابواب ليحييك . وعادت السكينة الى نفسك يا مي ولكنها سكينة وقورة فيعمقها آثار الجراح وندوب الالام .. يقول عنك سامي الكيالي : « ولولا هذا الشحوب البادي في وجهها وهذا الشيب الذي دب الى شعرها وهذا الجرس الحزين الذي ينساب من ثنايا حديثها لما تغيرت علي صورة مي الشاعرة الاديبة الموسيقية وهي في صالونها الادبي في مصر تستقبل زوارها من الساسة والعظماء والادباء » . واخيرا يا مي ها انت تزحفين الى النهاية وفي عينيك نظرة غريبة الى هذه الحياة الفارغة التي اعطيتها كل شيء ولم تعطك الا النزر اليسير . وتلك صديقتك ايميه خير تقول : « .. لقد ضحت مي بكثير فيحياتها وما اعظم ما ضحت به.بشبابها اللامع المضيء وذكائها المتوقد الملتهب وقدمتهما الى الحياة قربانا خالصا ... ولعلك تذكر الاسطورة الرومانية القديمة عن الربة « فستا » والبنات اللائي كن معها ضحية الشباب فلم يتزوجن لقد كن ضحية الشباب النضير

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com



مي زيادة

همسات من أجلها

وقضين حياتهن منشغلات باشعال نار مقدسة سماوية وامدادها بالحطب الجزل حتى لا تنطفيء فان في انطفائها خرابا عاجلا لمدينة روما .. وكذلك كانت مي » .

ودنت خطواتك الى القبر ورصيدك من الآلام يتضخم فها هم أصدقاؤك الذي وقفوا الى جانبك في أحلك ساعات محنتك يذهبون واحدا وراء الاخر في طريق اللاعودة .. في طريق النهاية . فانطويت على نفسك وغرقت في سديم ضبابي متوتر ينثر أمامك صورا من الماضي والحاضر ويلقي في روعك عويل الوحشة ونئير الخوف وأوشحة البلايا فتاه وعيك عن الزمن والذات وفقدت نفسك قدرتها على الاستمرار وفارقتها راحة النوم وتعزية المأكل والمشرب وهزل جسدك حتى انهارت أجهزته ثم خمدت حركته وسادت الغيبوبة وخفق قلبك خفقته الاخيرة وانسلت الروح تحلق الى مرتع الخلود .

ذهبت يا مي فلم يبق منك غير الذكرى نرويها فنبتسم ونعجب ونندهش ثم نبكي .

(موناليزا)
ـ الكويت ـ

(١) يعتد صالون مي الادبي يوم الثلاثاء من كل أسبوع .
(٢) أول مؤلفات مي ديوان شعر بالفرنسية وهو (أزاهير حلم) .
(٣) أمثال باحثة البادية وعائشة تيمور ووردة اليازجي .
(٤) اتقنت مي اللغة الفرنسية والانجليزية والروسية والالمانية بالاضافة الى العربية لغتها .
(٥) من رسالة بعثتها مي الى قريب لها وكان طبيبا .

ملاحظة : ما بين القوسين الصغيرين « » كلام منقول

سبع أغنيات الى حبيبتي الغائبة

شعر : حسين جليل

« وفي قلبي يطرب الطريق »

مايكوفسكي



ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

١

حبيبتـــي ،
يا طفلـــة الزمـــان
وأنـــت في الغيـــب ،
أرى عينيـــك .. تومضان
وكلمـــا اقتربـــت
تهربان .

٢

حبيبتـــي ،
يا خيمـــة ... ولدت فيهـــا ،
وعلى شباكهـــا
امـــوت
مهجورا ،
حزينا ،
مثلمـــا يمـــوت ،
فوق القمة الجرداء ،
نسر .....
دونماصديق .
حبيبتـــي ،
لولاك ،
ما كنت نبيا عاشقـــا
يزرع عينيـــه
على الطريق .

٣

حبيبتـــي ،
يا واحة .... يلوذ في افيائهـــا القمـــر
عاشقك الضرير
ما زال ، على الاسوار ، يبكـــي ،
ومع الفجر .... يغنـــي
كلما مـــر شراع ،
كلما اورقت الدموع في الشجر .

٤

حبيبتـــي ،
يا حبـــي السري ،
يا « صفصافة النار ... »
التي عانقها المـــاء
فصـــار العشـــق
في مجاهل الصدور
حكايـــة ..
يولد فيها عاشق فقـــير
يثور اذ يعشق
او يعشق ....
اذ يثـــور .

٥

حبيبتـــي ،
متـــى
متـــى
متـــى
ينشق ليل العالم الصخـــري
عن وجهـــك ،
عن يديك ،
عن عينيـــك ،
يا « غائبـــة .... »
تخطر في الماء ،
وفي النار ،
وفي الريح ،
وفي المطر .
تزهر في الحروف ،
في السيوف .
تورق في الحجـــر .

٦

حبيبتـــي ،
عيناك
قوسا قزح ،
كفـــاك
وردتـــان .

٧

حبيبتـــي،
ياطفلـــة القدر
من الف عام ،
الف قرن ،
وانا امـــوت في حبك ... انتظر .

حسين جليل — بغداد

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

مسرحية العنب الحامض

« هي بحق مسرحية الحرية »

في الفترة الممتدة بين ١ ــ ٨ ــ ١٩٧٥ و ١٨ ــ ٨ ــ ١٩٧٥ ، قدم المسرح الحديث بالناصرة تمثيلية العنب الحامض وهي من تأليف جويلهرم فيجويردو البرازيلي ، واخراج صبحي الداموني ، واشترك في التمثيل نخبة من اعضاء المسرح وهم ناديا لولو ، سليمة سلمان ، اميل روك ، جميل نصر الله ، وباسم مخزومي.

واشترك في تقديم المسرحية ، اسحق داوود برسومه ، حبيب بنا بالانارة ، اما الملابس فصممتها ناديا صباح ، والاحذية من تصميم سهيل نصر.

ويقدم المسرح الحديث مسرحية « العنب الحامض » ، بعد ان توقف فترة ليست بالقليلة ، وجاء في البرنامج الذي وزع على الجمهور في بداية العرض ، في تفسير ذلك : « بعد ان عبر المسرح الحديث فترة التجربة ، التي كان لا بد من اجتيازها لبلورة نفسه مضمونا وشكلا ، يقدم مسرحية من نوع جديد تعالج قضية من اهم قضايا الانسان ، الا وهي قضية الحرية » .

وقد تضمن البرنامج تعليقا للشاعر توفيق زياد على المسرحية يقول فيه : « لم تزل قضية الحرية منذ مطلع التاريخ الانساني القضية المركزية في تطلعات الطبقات المستعبدة ، التي شكلت دائما الاكثرية الساحقة في المجتمع البشري ، فمنذ أن بدأ الانسان (السيد) يمتلك الانسان (العبد) حتى يومنا هذا ، لم يهدأ صراع الطبقات ، ولم تخمد نار الشوق الى الحرية المتأججة في الصدور .

وخلال مراحل التاريخ المختلفة ، تغير شكل الاستعباد من الشكل الفظ الصريح ، في نظام العبودية عندما كان السيد يمتلك عبده كما يمتلك دابته او اثاث بيته ، الى الشكل الاقل فظاظة في النظام الاقطاعي ، حين كان الاقطاعي يمتلك حق تشغيل فلاحه القن عدة ايام في الاسبوع دون اجر ، مقابل ان يسمح بفلاحة قطعة ارض خصصها له ، الى الشكل المستتر المبطن في الراسمالية حين حصل العامل على حريته الشكلية ... حرية اختيار الراسمالي الذي يعمل عنده ، اي حرية اختيار سيده وسارق كده ، اما العلاقة فقد بقيت في مضمونها علاقة عبودية واستغلال ثمار الكد .

وفي اساس علاقة الاستعباد هذه ، وقفت دائما مسالة الملكية الخاصة لوسائل الانتاج ، الارض المصنع ، ادوات العمل ... الخ . قلة تملك ولا تعمل ، وهي المسيطرة اقتصاديا واجتماعيا والذي يملك يحكم ويتحكم ، وعلى الباقين ان يخضعوا ، ونتيجة لهذا الوضع فان تاريخ البشرية ، وهو تاريخ صراع الطبقات ، والحقيقة التاريخية الكبرى هي ان الطبقات التي تملك ولا تعمل لا تستطيع ان تعيش بدون الطبقات التي تعمل ولا تملك .

وقضية الحرية هذه هي التي يتناولها فيجويردو ، في مسرحية العنب الحامض (في الاصل الثعلب والعنب)، تناولا عميقا بريشة فنان ، وعقل حكيم وقلب ثائر ، وهو يأخذ مجتمع العبودية في اليونان القديمة التي وصل فيها نظام العبودية الى شكله الكلاسيكي ، المدعم بالقوانين والمعايير ، وبنظام فلسفي متكامل يأخذه اطارا .

والشخصيتان المركزيتان اللتان يتمحور حولهما

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

اعداد / بسام محمد جرار

المؤلف في مسرحيته هما اكسانتوس ، (السيد) ، وايسوب (العبد) ولا داعي للقول انهما متناقضان حتى النهاية . الاول غني وفيلسوف سفسطائي ، والثاني عبد قبيح المنظر متوقد الذكاء .

ويتمركز المؤلف على شخصية ايسوب ، فيتجاوز قشور الشكل لينفذ الى الاعماق . انه يقشره لنا لتتجلى دخيلته الرائعة ، التي هي لب الحقيقة الانسانية ، تنبض بكل ما في الطبيعة من حيوية وخصب ، وتسطع بكل ما في الشمس من ضوء وحرارة ، وتتماوج بكل ما في قوس قزح من الوان .

ان شوق ايسوب الى الحرية ، هو شوق النار الى الريح ، انه يريدها حقا خالصا ويرفض ان يكسبها عن طريق الهروب ، « لانه لا يمكن ان تكون الحرية امرا مكتوبا ، بل ان جوهرها هو ان يعرف الجميع انك حر ، ويحترموا ذلك » ، وهو يرفض ان يحررها عن طريق الصدقة ، عندما اراد سيده ان يجزيه بعد ان رد له ايسوب املاكه وزوجته التي فقدها في حالة سكر وطيش ، قال له : « اذهب الى الباب فاذا رايت متعفنين يطلبون معا في السماء فانت حر » . فاجابه ايسوب : « انني ارفض ان يكون عمل من اعمال العدالة متوقفا على الصدفة » وعندما تراوده (كلايا) زوجة سيده عن نفسه مقابل ان تحمل زوجها على ان يعتقه ، يرفض « الحرية نقية ويجب ان نمسها بايد نقية » ، وينال ايسوب حريته في النهاية كحق خالص ، وبناء على اصرار الشعب صاحب الكلمة الاخيرة .

ويصور لنا المؤلف بدقة شهوة الملكية المتأججة ابدا عند اكسانتوس ، المستعد دائما لان يفعل اي شيء حتى يبقى ايسوب عبدا له ، بما في ذلك التنازل لايسوب عن زوجته ليضاجعها ما يشاء ، ولكن ايسوب يرفض ذلك ، وعندما كان اكسانتوس يقع في مأزق (وكثيرا ما كان يقع) فلا يستطيع بعقله الخامل وفكره البليدان يجد مخرجا ، كان يلجأ الى ايسوب طالبا مساعدته مقابل وعده بتحريره وكان ايسوب يملك دائما الفكرة الطازجة الحاضرة التي تنقذ اكسانتوس ، ولكن اكسانتوس كان ينكث بوعده دائما .

وحتى بعد ان يضطر اكسانتوس الى منح ايسوب وثيقة التحرر بناء على ضغط الشعب يواصل هو وزوجته التآمر لاعادته الى قيد العبودية ، فتلجأ كلايا — زوجة اكسانتوس — الى الحيلة فتسرق كأسا ذهبيا من معبد الاله «ابولو » وتضعها في كيس ايسوب دون ان يدري، ثم تذهب وتخبر الكهنة ان ايسوب سرق الكأس فيجن جنونهم مطالبين بعقابه على « جريمته التي لا تغتفر بحق الملكية وحق الاله » وعقاب السارق من معبد « ابولو » كان القذف به الى الهاوية ، من صخرة عالية ، اذا كان حرا . اما عقاب العبد فيحدده سيده .

وهنا يصل المؤلف الى القمة ، ترى ماذا يختار ايسوب ؟ هل يصر على حقيقة كونه رجلا حرا يحمل وثيقة موقعة بذلك ، فيكون عقابه الموت المؤكد ، ام يقبل العرض الذي يعرضه عليه اكسانتوس ، كي يتنازل عن وثيقة التحرر والعودة الى العبودية ، مقابل النجاة الاكيدة من الموت ؟ ولكن ايسوب يرفض ذلك العرض ، ويختار الموت صارخا . « اشرب البحر يا اكسانتوس . . . اشرب البحر انا حر وسأذهب الى الهاوية » ، ويخرج ايسوب ليسلم نفسه للكهنة ، وهو يصرخ في الجماهير المحتشدة « اعلموا انكم احرار وكل رجل جدير بالحرية وجدير ان يموت من اجلها » .

وفي سياق المسرحية ، يعري المؤلف طبقة الاسياد كلها ، الاسياد الذين يسرقون كدح الاخرين وفكرهم ، مدعين ذلك لانفسهم ، انه لا يكتفي ان يعرض عرضا لاذعا ، اكسانتوس بجماله الخارجي ودخيلته القبيحة ، مقابل ايسوب بقبحه الخارجي ، ودخيلته الجميلة ، بل يعري طبيعة الديمقراطية في مجتمع العبودية ، وكل المجتمعات الطبقية ، وعندما يعلن المؤلف على لسان « كلاتا » لم يخلق الناس متساوين ، ان بعضهم يستحق الهبات وبعضهم يستحق الجلد هذه هي الديمقراطية الاغريقية ، من حق الفقير ان يختار مضطهديه ، ومن حق الغني ان يجعل ذلك حرا وذلك عبدا ، هذه هي حقيقة الديمقراطية في المجتمع الطبقي ، مهما بدت قشرتها زاهية اللون .

وبعد فان « العنب الحامض » هي بحق مسرحية الحرية .

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

اقامت جمعية انعاش الاسرة في البيرة ، مهرجانا للزجل الشعبي الفلسطيني ، فقد افتتحت السيدة سميحة سلامة خليل ، وسط جمهور يربو على الالفي مشاهد ، المهرجان بكلمة تحدثت فيها عن مختلف نشاطات الجمعية ، ولجنة الابحاث الاجتماعية والتراث الشعبي الفلسطيني فيها ، التي اقامت المهرجان ، وقالت ان الجمعية اختطت منهجا لنفسها من اجل تحرير الفتاة بواسطة العمل في المصانع الانتاجية التابعة للجمعية وتدريب الفتيات على المهارات المختلفة .

وبعد ذلك قدم الزجالان ابو جمال المجاوي وابو الامين البرقيني حوارا زجليا ، تلاهما طلاب الشهداء بمخيم جنين حيث قدموا عزفا على اليرغول ، وبعد ذلك دار حوار بين الشاعر ابو فتحي من كفر دان وابو نادر من برقين ، كما تخلل المهرجان دبكات شعبية قدمها اشبال كفر مالك ، وشباب قرية ابو فلاح ، وفرقة الدبكة في مخيم جنين ، واستمر المهرجان حتى العاشرة مساء .

بسام محمد جرار

كلية الاداب ــ الجامعة الاردنية ــ عمان



سلاما أيها الخبز

للشاعر
عصام ترشحاني

عرفناه ..
غنيا في دم الفقراء
نقيا في دم الفقراء
فنادمناه ...
في السراء والضراء
ومازلنا .. ننادمه
ونقرأ فيه شهوتنا
الى الاشياء
عرفناه
نبيا يفضح الاسماء
نبيا يعلن الاسماء
نبيا لا شبيه له
يرج بكارة الاتى
ويعطى خضرة الصحراء
× × ×
هو الفرح المضيء ،
وضحكة الامطار ،
والحب الذى ..
يرقى لكل سماء
هو الجسر الذى
يمتد من اغفاءة الماضى
الى بوابة الاتى ..
بلا اعياء
هو الفجر الذى انتشرت
لى اطراف عينيه
خيول الغابة العذراء
◆◆◆
لعينيه ...
جماهير وأوطان بلون الحلم
وأقمار مقاتلة ..
وغابة دم
لعينيه ...
تدور الارض ،
يأتى الفاتحون ،
ويشرد الغرباء ..
لعينيه ...
يغنى الطير ،
والاطفال ،
والجوعى ..
وتهتف سائر الاسماء
◆◆◆
سلاما ايها الخبز الذى
نبتت على اكتافك الثورة
سلاما اخضر الكلمات ،
من قلبى
الى الثورة ..

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com



المقدم

بقلم الكاتب السوفياتي
كوستانتين باوستوفسكي
(١٨٩٢ - ١٩٦٨)
ترجمة : احمد فارس

في مكان ناء عن المدينة انتصب بيت صغير فوق الجبل الذي يطل على النهر . وخلف ذاك البيت كان يشع حرش من اشجار البتولا البيضاء . حيث كانت الغربان تصرخ فيه من الصباح حتى المساء .

مات العجوز بوتابوف بعد مرور شهر واحد على اقامة تتيانا بتروفنا في منزله . وهاقد اصبحت الان تقيم في البيت لوحدها مع ابنتها ماريا ومربيتها العجوز .

قدمت تتيانا من موسكو ، ولكنها لم تتعود على هذا البيت الصغير، وعلى الامسيات الطويلة الهادئة . وغالبا ما كانت تسأل نفسها : « لم غادرت موسكو وخلفت ورائي المسرح والاصدقاء ؟ » لكن الحرب بدات واصبح من العسير العودة . فقررت تتيانا البقاء في المدينة للعمل في مشافيها ولترتاح من قلقها . اخذت المدينة تعجبها شيئا فشيئا وبالذات عندما حل الشتاء وتساقط الثلج،لقد تعودت على المدينة وعلى المنزل الغريب .

عرفت تتيانا أن للعجوز بوتابوف ابنا يخدم في اسطول البحر الاسود ، فقدكانت صورته موضوعة على طاولة المكتب ، وغالبا ما كانت تتيانا تتناول هذه الصورة وتحدق فيها مليا، لقد كان يهيأ لها طوال الوقت انها رأته في مكان ما وفي وقت بعيد ... ولكن أين ؟ ومتى ؟ .

ومع حلول الشتاء أخذت تصل الى العجوز بوتابوف رسائل من ابنه، وكان الخط على المغلفات واحدا . وكانت تتيانا بدورها تحملها وتضعها على المنضدة . وفي احدى المرات استيقظت ليلا ، فكان الهدوء يخيم على المكان والثلج الناصع يتساقط في الخارج خلف النوافذ .

فتوجهت الى غرفة بوتابوف وجلست خلف المنضدة وتناولت بحذر

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

بالغ احدى هذه الرسائل وفضت الغلاف وراحت تقرأ :

« والدي الحبيب :

ها قد مضى على مكوثي في المستشفى اكثر من شهر، لقد جرحت ولكن جراحي ليست خطيرة .. لا تقلق ، انني اذكرك دوما واذكر بيتنا ومدينتنا ، ان كل هذا يبدو لي الان بعيدا ومغرقا في البعد ، كما لو انه في آخر الكون. انني اغلق عيني فأرى نفسي افتح الباب والج الى الحديقة. لقد غمرها الثلج ، وهاهي الطريق المؤدية الى العريشة التي كنا نجلس تحتها . وعند الباب اشد الحبل الصغير فيأخذ الجرس بالرنين . انني ادخل وهاهو الدفء يشع في ارجاء البيت . وعلى البيانو (نوتات) لمعزوفات متفرقة وتنتصب الى جانبها شموع متقدة .

« أمن المعقول ان ارى هذه الاشياء من جديد ؟ آه لو تدري كم احببت هذه الاشياء وأنا بعيد عنكم . لا تتعجب ، انني اقول هذا جادا . لقد تذكرت هذه الاشياء في أشد دقائق المعركة ضراوة ، لقد عرفت بأنني لا ادافع عن وطني فحسب ، بل عن تلك الاشياء البسيطة وعن أعز ركن لي في المنزل ، عنك،عن حديقتنا، عن أولاد بلدتنا ، عن حرش البتولا المنتصب خلف النهر ...

« قد آتي اليك عندما اخرج من المستشفى ، ولكن لفترة قصيرة ، بالضبط لا ادري متى ... ولكن الافضل الا تنتظر . »

جلست تتيانا قرب الطاولة طويلا وراحت تنظر عبر النافذة الى ذاك المكان حيث راح الشفق يشق طريقه. وأخذت تفكر هاهو خلال ايام سيأتي من الجبهة الى هذا البيت الذي يقطنه اناس مجهولون ، وسيكون شيئا صعبا وقاسيا ان يقابله غرباء بالاضافة الى انه سيرى عكس ما كان يحلم وما كان يريد .

في الصباح طلبت تتيانا من ابنتها فاريا أن تحمل المجرفة الخشبية وتنظف الطريق المؤدية الى العريشة من الثلج ، بينما راحت هي بنفسها تصلح الجرس المعلق فوق الباب . وعند الظهيرة جلبت معها من المدينة عاملا لصيانة البيانو ، وبعد أن غادر العامل الغرفة راحت تتيانا تبحث في ادراج الطاولة عن الشموع حتى عثرت عليها ، فوضعتها في الشمعدان فوق البيانو . وعندما حل المساء اوقدتها وجلست الى النافذة .

فابتدرت فاريا امها قائلة :

ــ لم تلمسين الاشياء التي لا تخصك ، انك لا تسمحين لي بأن المس اي شيء ، بينما انت تفعلين كل شيء .

فأجابتها تتيانا :

ــ لكوني اكبر منك سنا .

نظرت فاريا بارتياب الى امها وصمتت .

وهاهي تتيانا الان تشعر بأنها تشبه الكبار بشيء قليل . يهيأ لها أنها تضيء « كسندريلا » بشعرها الذهبي ، والتي أضاعت حذاءها في قصر الملك . لقد قصت هذه القصة على فاريا اكثر من مرة .

سافر الملازم نيقولاي بوتابوف الى بيته . كانت اجازته قصيرة ، بينما الطريق يبدو طويلا مملا . لقد ادرك انه سيبقى عند والده يوما واحدا فقط . وصل القطار الى المدينة نهارا . وفي المحطة اخبره مفتش عجوز صديق والده بأن والده قد مات وان مغنية من مدينة موسكو تسكن منزلهم .

غرق بوتابوف في لجة من الصمت وراح ينظر في النافذة ، بينما اخذ الم شديد يدب في رأسه . وسأل العجوز :

ــ متى يتحرك قطار العودة ؟ .

ــ في الخامسة صباحا . ابق هنا، لا داعي للذهاب الى البيت .

ــ شكرا

خرج بوتابوف فعبر المدينة قاصدا النهر . كان الظلام قد اخذ يفرد جناحيه وراحت الريح تعوي وتئن ، وفكر بينه وبين نفسه :

ــ لقد تأخرت . وها هو كل شيء يبدو غريبا بالنسبة لي ، هذه المدينة، وهذا النهر والبيت .

وحانت منه التفاتة فرأى منزله، اقترب منه بهدوء وسار بمحاذاته . لقد قرر أن لا يدخل بل سيمر بقربه ويلقي نظرة عابرة على الحديقة . كانت فكرة أن اناسا غرباء لا مبالين يقطنون منزل والده قد بدت له أمرا لا يحتمل ، والافضل له ان يذهب وينسى الماضي بأكمله .

اقترب بوتابوف من المنزل مع حلول الظلام وفتح بحذر باب الحديقة، فتساقط عنه الثلج والفى طريقا نظيفا يقود الى العريشة . دخلها ووقف تحتها فبان القمر خلف الغابات البعيدة المغرقة في البعد . خلع قبعته وهمس قائلا :

ــ كيف حدث كل هذا ؟

وبحذر شديد لمس شخص ما كتفه فالتفت بسرعة ، فالفى خلفه امرأة شابة ذات وجه شاحب قاس .نظرت اليه بعينين قاتمتين براقتين ، وبدت على اهدابها وخديها قطرات الماء التي خلفها الثلج المتساقط .

قالت المرأة :

ــ البس قبعتك فقد تصاب بالزكام ، لنذهب الى البيت لا داعي لوقوفك هنا .

صمت بوتابوف فأمسكت المرأة بيده وقادته الى البيت عبر طريق نظيفة .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

توقف بوتابوف قرب المدخل ، لم يعد يستطيع التنفس .

قالت المرأة بصوت خافت :

ـ لا عليك . أرجوك لا تخجل .. تفضل ، سيزول الان كل شيء .

اقتربا معا من الباب .

تنفس بوتابوف الصعداء عندما سمع رنين الجرس وانفتح الباب . وفي الغرفة قرب الاريكة وقفت فتاة جميلة راحت تنظر اليه بسعادة لا توصف .

قالت تتيانا وهي تقود بوتابوف الى المطبخ :

ـ تفضل .

هنا وضع ابريق مليء بماء بارد وعلقت الى جانبه فوطة لا يزال يعرفها . خرجت تتيانا فدخلت ابنتها تحمل قطعة الصابون لبوتابوف . وراحت الفتاة تنظر كيف يغسل وجهه ويديه .

فابتدرها سائلا :

ـ اهذه أمك ؟ من تكون ؟ .

ـ نعم انها أمي وتعتقد نفسها راشدة ، ولكنها في الحقيقة طفلة .

ـ لماذا ؟ .

لم تجب الفتاة بل ضحكت وهربت من المطبخ .

وهيىء لبوتابوف طوال السهرة انه يعيش في حلم لذيذ ممتع .

لقد كان كل شيء في البيت كما كان يرغب ان يراه . « فالنوتات » ملقاة على البيانو والشموع ذاتها تتقد في غرفة ابيه الصغير .

وبعد أن شرب الشاي قادته الى حيث قبر والده . وأصبح القمر في قبة السماء ، والقت اشجار البتولا بظلالها الخفيفة على الثلج .

وفي وقت متأخر من الليل ،وعندما جلست تتيانا خلف البيانو لتعزف قالت له :

ـ يهيأ لي على الدوام اني قابلتك في مكان ما .

اجاب بوتابوف :

ـ نعم ربما .



وراح ينظر اليها مليا . كان ضوء الشمعة قد وقع على وجهها فأبان نصفه الجانبي .

ونهض بوتابوف وراح يتمشى في الغرفة جيئة وذهابا . ثم توقف فجأة وقال بصوت هادىء :

كلا ، لا استطيع ان اتذكر .

والتفتت تتيانا نحوه ، وحدقت به ولكنها لم تفه بشيء .

استلقى بوتابوف على الاريكة في الغرفة ولكنه لم يستطع النوم . لقد هيىء له أن كل دقيقة في هذا البيت غالية الثمن ولا يريد ان يفرط فيها . اضطجع وراح يسمع كل حركة تجري في الغرفة المجاورة . ويبدو ان تتيانا لم تنم أيضا . وفي الرابعة صباحا فتحت الباب بهدوء ونادت بوتابوف :

ـ لقد حان الوقت ، عليك ان تنهض . انه ليؤسفني ان اوقظك ولكن ....

رافقت تتيانا بوتابوف الى المحطة ، وعندما قدم القطار مدت كلتا يديها وقالت :

ـ اكتب لي ، اننا الان كالاقارب، اليس كذلك ؟ .

لم يجب بوتابوف بشيء سوى انه هز راسه .

لم تمض أيام حتى تلقت تتيانا رسالة منه جاء فيها :

« انني اذكر طبعا اين تقابلنا ، ولكني لم أرغب في أن اقول لك ذلك في البيت . اتذكرين شبه جزيرة القرم عام ١٩٢٧ ؟ كان هذا في الخريف ، قرب الاشجار في الحديقة ، اتذكرين البحر الشاحب ؟ كنت انذاك أمشي في طريق ضيقة وبالقرب منها كانت تجلس على الكرسي فتاة لم تتجاوز آنذاك السادسة عشرة ، وما أن شاهدتني حتى نهضت لمقابلتي . لقد نظرت اليها بينما كانت تمر بقربي مسرعة الخطى .

« كانت تلك الفتاة ـ انت ... وقفت انذاك ارقبك . انني لا اخطىء في حكمي . لقد تعقبت عيناي اثرك وشعرت انه قد مرت بقربي فتاة بكل معنى الكلمة ، وأن هذه تستطيع أن تحطم حياتي وأن تقدم لي اكبر سعادة في الوجود اذا رغبت بهذا .. لقد ادركت انذاك انني استطيع ان احب هذه الفتاة . عندها ادركت انه يجب ان اعثر عليك . هذا ما فكرت به انذاك ولكني لم احرك ساكنا . لماذا ؟ لست أدري .

« منذ ذلك الوقت احببت القرم واحببت ذاك الطريق حيث رأيتك واضعتك فيه الى الابد . ولكن الحياة تبدو رؤوفة بي وهاانذا أراك من جديد .

« اذا كان كل شيء سينتهي حسنا ، واذا كانت حياتي بالنسبة لك ضرورية فانها لك منذ الان . لقد عثرت على رسالة مفتوحة من رسائلي ملقاة فوق طاولة ابي اعتقد أنك قرأتها وفهمت كل شيء وانني استطيع أن اشكرك من هنا ، من مكاني البعيد » .

ألقت تتيانا الرسالة وراحت تنظر ساهمة واجمة الى الحديقة البيضاء من خلال النافذة وهمست :

ـ يا الهي انني لم اكن في يوم من الايام في القرم ، ولكن ماجدوى ذلك . وهل يحمل هذا اي معنى ؟.

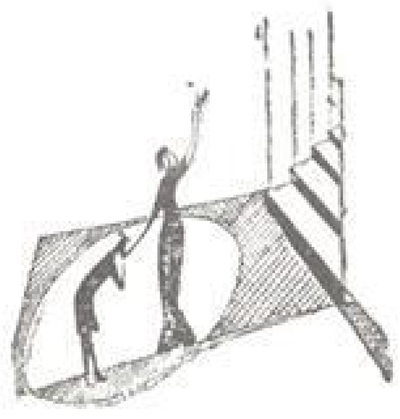
ضحكت وغطت عينيها بكفيها .

وخلف النافذة اشتعل الغروب ولم يعد بالامكان اطفاؤه .

احمد فارس

ـ حلب الشهباء ـ

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com



القصة السيكولوجية

تأليف : ليون ايدل

ترجمة : دكتور محمود السمرة

عرض وتلخيص : محمد عبد العزيز صيام

تبدو الحاجة الى تقديم هذا الكتاب ، الذي صدر في لغته عام ١٩٥٥ ، حاجة ملحة تماما . فنحن نلاحظ اولا ذلك النشاط الذي يتبدى بين كتاب القصة العربية ، الطويلة والقصيرة . وهو نشاط مطلوب بطبيعة الحال . الا اننا نلاحظ ايضا ان الكثيرين منهم يتوهمون انهم يقدمون اضافات جديدة غير مسبوقة ، مما يدفعهم في نهاية الامر الى الاستكانة الراضية لتلك الانجازات المتوهمة . وأغلب الظن ان ذلك يرجع الى غياب ذلك الوعي المفترض بتطور ذلك اللون من الوان التعبير . بل ان الكاتب يفوت على نفسه فرصة الاستيعاب المطلوبة لهذه الانجازات حتى يستطيع ، تبعا لذلك ، ان يضيف اضافة حقيقية .

ترجع الاهمية الاولى لهذا الكتاب اذن ، الى انه يضع امام القاريء خارطة عميقة قادرة على اثراء معلوماتنا عن حركات التجديد الاساسية التي قام بها رواد القصة الحديثة منذ مطلع الحرب العالمية الاولى حتى الان : « جيمس جويس ، مارسيل بروست ، دوروثي ريتشارد سون ، فرجينيا وولف ، وليم فوكنر ». كما عمد الى تقصي ذلك الانعكاس الذاتي في كتابات : « وليم جيمس . هنري برجسون » ، وبعدهما على المستوى التحليلي التربوي : « فرويد » وغيرهم لذلك كان ضروريا بأن نتوخى ، في ذلك العرض الموجز الاقتصار على محاولة استخلاص اهم تلك السمات المميزة لذلك اللون من الفن القصصي .

● ● ●

في مطلع الحرب العالمية الاولى كان هناك ثلاثة قصصيين قيض لكتاباتهم ان تترك اثرا بالغا في القصة في قرننا هذا .

في فرنسا نشر « مارسيل بروست » عام ١٩١٣ اول جزئين من قصته البالغة ثمانية اجزاء « البحث عن الزمن الضائع » . وفي عام ١٩١٥ ظهر الجزء الاول من قصة الكاتبة الانكليزية « دوروثي ريتشاردسون » « الحج » . وفي الزمن الفاصل بين صدور هذين المؤلفين نشر الكاتب الايرلندي « جيمس جويس » قصته التي اعتبرت بحق نقطة تحول في الادب التحليلي الابداعي « صورة الفنان في شبابه » .

وهكذا ولدت القصة السيكولوجية الحديثة فيما بين عامي ١٩١٣ ، ١٩١٥ . وهي التي تسمى في الادب الانكليزي بالقصة الانسيابية (قصة تيار الوعي) او قصة الحوار الفردي الصامت ، وتعرف في الادب الفرنسي بالقصة التحليلية الحديثة .

والواقع ان هذه المؤلفات كانت رحلات عبر معالم الوعي . وذلك لان هؤلاء الكتاب كانوا مدركين لدرجة مدهشة لمشاعرهم واحاسيسهم وكانوا قادرين ايضا على ان يستنطقوا انفسهم ويمتحنوها بصراحة تهي من الجراة بحيث تكاد تكون غاية في الندرة حتى بين الكتاب انفسهم . وبدا انهم يكتبون بدافع حاجة ملحة الى معالجة مشاكلهم الداخلية والتكافؤ معها وعرض حياتهم الباطنية على الملأ .

في حالة « بروست » فان مرضه الملازم جعل قصته تعيش ضمن جدران تمنع عنه ضوضاء العالم الخارجي ، فكان طبيعيا ان يجد في الماضي الهدوء والاستكشاف والابداع عن طريق عملية التذكر . اي ان الزمن الماضي عنده يمكن ان يصبح انيا ليتلاشى من جديد .

اما في حالة « جويس » الذي كان اعشى منذ طفولته ، فقد كان يحمل في قلبه وعقله مدينة صباه « دبلن » بكل ما يملؤها من اصوات وضجيج وصخب ، اينما ذهب ، سواء كان في تريستا او زيوريخ او باريس . حتى انتهى الى ان اختلطت عنده المدن واصبحت طنينا

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

متزايدا وامتزجت لفاتها . وبذلك اتخذت تجربته شكلا مغايرا تماما . اراد ان يمسك بالزمن الاني وبلحظة الادراك في حينها .

ولتحقيق ذلك فانهم لم يسلكوا السبيل التقليدي الذي يعرض التجارب الباطنية في قالب تخيلي يعالج العالم الخارجي . بل حولوا القصة الخيالية من الحقيقة الخارجية الى الحقيقة الباطنية . ومن العالم الخارجي الى عالم مضيء من الخيال الجامح والتفكير . وعلى هذا فقد كانت تجاربهم تلك لا صلة لها بقصص « ارنولد بينيت » و « هـ.ج.ويلز » و « جون جالزورثي » الذين كانوا متألقين في الفترة التي بوشر فيها اجراء هذه التجارب التي كانت المحاولة فيها تجري من اجل وضع سجل لعالم الاحاسيس ولاسر الافكار العابرة اذ تزحف عبر العقل ، بل الى الامساك بها في لحظة جريانها وايجاد الكلمات التي تستطيع ان تعبر عن التفكير العابر المراوغ وليس فقط الكلام الذي يخطر للذهن ، بل كذلك صور عالم التخيل الباطني الذي يعج بالاصوات والروائح ودنيا التجارب الحسية والعديد من الانطباعات المباشرة وهالات الفكر الواعي واللاواعي ، ذلك الادراك الذي يحيط بنا بينما نوجه عبارة الى صديق يجلس على المائدة قبالتنا ، فاننا نلاحظ ملامح وجهه بدقة ونحن نتحدث اليه . كما نلاحظ التعبير الذي يرتسم عليه ويلونه ، الوان ملابسه او شكل ربطة عنقه ، وفي نفس الوقت تكون مخيلتنا النشيطة تعمل على مستوى اخر ، وقد تعكس ما نحس به نحوه او تترك هذا كله لتطوف في حقل او بحر او وجوه اخرى . يحدث هذا ونحن ما زلنا نتحدث الى الرجل حديثا مترابطا ، كما تسجل اذاننا ضحكته ، وكلماته ، وضجة سيارة عابرة ، وصفير قطار بعيد ، وطقطقة الصحون ، وتلمح عيوننا فتاة على مائدة اخرى ، وفي نفس الوقت نرفع فنجان القهوة الى شفاهنا بحركة الية فندرك طعمها وحرارتها ، ومن المحتمل ان هذه الرشفة تثير فينا ذكريات فناجين اخرى من القهوة ، وهذه بدورها تفرق ذاكرتنا . ورغم كل هذا فان حديثنا مع الشخص يستمر دون ان يعرف شيئا عن هذا الفيض الزاخر من انطباعاتنا . كما اننا بدورنا لا نعرف عن انطباعاته غير التي يفصح عنها .

ويجب ان ننبه اولا الى ان المقصود بعرض هذه المحاولة التركيبية هو مجرد رسم بيان لهيكل الوعي ، لاننا بالتأكيد لن نستطيع في مثل هذه الحالة ان نحتفظ — عند التعبير — بلب الفكر منفصلا عن الهالات . لانه سيكون شبيها بمحاولة تسجيل الضجيج في مطعم. وحتى ان استطعنا فانه سيثقل على انتباه القاريء لدرجة لا يطيقها .

ولقد سبق ان اتفق بعض كتاب القصة في القرن التاسع عشر على ان المحاولات الذاتية يمكن ان تروى، ولكنها (لا يمكن) التعبير عنها وتجسيدها في القصة حتى ان « وليم جمس » الذي ابتكر اسم « تيار الوعي » يؤكد صعوبة الامساك بالافكار اثناء انسيابها وصعوبة ايقافها وفحصها ، فيقول في كتابه « اصول علم النفس » : « ان اندفاع الافكار يكون قويا لدرجة اننا دوما نصل الى نهايتها قبل ان نستطيع ايقافها . وعلى لو فعلنا فانها تفقد في الحال صفاتها وهكذا فاننا بدلا من الامساك بالشعور في ظرفه واثناء سيره نجد اننا قد امسكنا بها راكدة وقد فقدت دلالتها ووظيفتها ومعناها » .

والحقيقة ان الفن ليس هو مجموع ما فيه من الاحداث التي يتذكرها الفنان فقط ، ولكن هذه الاحداث نفسها تستحيل عملا فنيا عندما تصبح جزءا من تجربة وتمتزج بالحياة نفسها . فهنا تندمج العناصر المتفاوتة وتتلاءم ويعمل العقل المبدع عمله في تغير المادة الخام ، فتصبح ذات قيمة تتجاوز قيمتها الانية ، وتصبح جزءا من تجربة اجيال متتالية من القراء . فالانتقال من فكرة الى اخرى لا يعتبر انقطاعا في التفكير مثلما لا تعتبر العقدة في عود الخيزران انكسارا في خشبة.

ولنقرأ استهلاك « جيمس جويس » لقصته « صورة الفنان في شبابه » :

« حدث ذات مرة ، في زمن من ازمنة الخير ، ان كانت هناك بقرة ذات خوار تجتاز الطريق المنحدر . وقد صادفت هذه البقرة ذات الخوار التي كانت تجتاز

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

الطريق طفلا لطيفا للغاية يدعى توكو الصغير .

« تلك هي القصة التي رواها له ابوه : تطلع اليه ابوه عبر نظارتيه ، وكان وجه ابيه كثيف الشعر . كان ولدا شرها توكو الصغير . لقد انحدرت البقرة ذات الخوار الى حيث تعيش بيتي بيرن . انها التي تبيع فطائر الليمون .

« ياه .. ان الوردة البرية تزهر .

« في المكان الاخضر الصغير .

« لقد كان يغني هذه الاغنية . كانت تلك اغنيته.

« عندما تبول في فراشك فانه يدفأ اولا ثم يبرد . ان امه تضع على الفراش مشمعا تحته . ان للمشمع رائحة غريبة . لقد كانت امه اذكى رائحة من ابيه » .

ان ما يكتشفه القاريء هنا هو ان هذا ليس سردا للاحداث بالمعنى التقليدي فالمؤلف قد نحى نفسه وجابه القاريء بالتجربة العقلية للشخصية . واقصاء المؤلف لنفسه على هذا النحو يستدعى تغيرا هاما في طريقة السرد وخلق الحاجة الى استخدام ذاكرة شخصيات القصة لكي تصل القاريء بماضيها وكأنه يحول القاريء الى مؤلف ، وذلك لان على القاريء ان يتتبع القصة في نظام وان يبقى متفتح الذهن ليجمع المعلومات .

ومع ذلك فان هذه المحاولات لم تبد جديدة لكثير من النقاد الذين اشاروا الى ان كتابا سابقين قد سجلوا افكار شخصيات قصصهم واحلامها . والا ما هو الفارق مثلا بين ما حاوله « جويس » وبين هذا الوصف لتفكير البطل في « الجريمة والعقاب » :

« وجال بخاطر راسكو لينكوف : لا بد ان النقود في الدرج العلوي . انها تضع المفاتيح في جيبها الايمن في رزمة واحدة في حلقة من الفولاذ .. وهناك مفتاح واحد يبلغ حجمه ثلاثة اضعاف اي مفتاح اخر ، ذو اسنان كثيرة ، لا يمكن ان يكون هذا مفتاح صوان الثياب .. اذن لا بد ان يكون هناك صوان اخر اوصندوق متين هذا ما يجب ان اعرفه . ان الصناديق المتينة لها دائما مفاتيح من هذا الطراز .. ولكن ما احط كل هذا » .

الفارق بين الحالتين هو ان ما تقدم ليس الا كلاما غير ملفوظ اي ان « دستويفسكي » هو الذي يقول لنا « جال بخاطر راسكو لينكوف » وبعبارة اخرى فان هذا ليس « تيارا منسابا » بل وصفا لما يجول في خاطر البطل يورده راوية هو كاتب القصة نفسه .

ومناجاة « هملت » لنفسه في مسرحية شكسبير ... اين موقعها ؟ .

« الموت او النوم

النوم لعله حلم ، آه هذا هو ما يؤلم .

وما ادراني اية احلام ستزورني في نوم الموت ذاك » .

ان هذه المناجاة ليست الا حوارا انفراديا مدروسا يقدم فيه العقل تفكيرا منظما موزونا له منطقه (نتاج نهائي لتيار الوعي ، وليس ذات تيار الوعي حيث الافكار عند ورودها الى الذهن تكون حسية غير مترابطة تعز على الكلمات احيانا) .

وهذا هو جوهر الاختلاف بين اصطلاحي « تيار الوعي » و « المنولوج الداخلي » الذي كان بعض الكتاب يستعملونها مترادفين دون تمييز .

فكلمة « منولوج » في اصلها الاغريقي هو « التكلم منفردا » ومعناها التقليدي الموروث ان يقف الممثل على المسرح يسمع النظارة افكارا منطقية موزونة محكمة البناء ، وان وضعت لتمثل التأملات الباطنية والاوهام والاحلام ، الا انها جوهريا سلسلة من الذكريات لا يعترضها مؤثر خارجي . فالافكار غير منسقة مع الاطار الفكري العام . على نحو ما نرى في « تيار الوعي » .

اما اهم المشاكل التي نشأت في سبيل جعل القصة قادرة على التعبير عن ادراكنا المباشر للعالم ، فقد كانت تدور حول :

العلاقة بين الكاتب وشخصياته .

العلاقة بين الكاتب وقرائه .

بالنسبة للمشكلة الاولى ، فهي اي نوع من الاذهان يختار ؟ فاذا ما اختار واجهته مشكلة اخرى هي ضرورة فصم نفسه عن شخصيات قصته ، هذا بالرغم من انه يستقى مادته مما في ذهنه هو . اي ان

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ذاتية شخصياته هي في الواقع ذاتيته هو .

فالكاتب عندما ينتهي من اختيار ذهن معين ، يتم بطبيعة الحال لقاء بين هذا الذهن وذهن القاريء ، مما يؤدي بالتالي الى اندماج الجوين العقليين عند الاثنين . ولكي ينجح الكاتب في ذلك يجب ان يكون بوسعه جعل القاريء يشارك شخصية قصته الشعور . جذبه الى هذا الوعي المفرد . ولن يتسنى للقاريء ذلك الا اذا تجاوب معها بدوره تجاوبا تاما . فهو هنا ليس امام واحدة من القصص السالفة ، يستمع ويستمتع وينجذب في المقام الاول ، بل هو امام كاتب يكاد يقول هذا هو السجل النفسي لعقل في ذات اللحظة التي يفكر فيها ، فحاول ان تخترق حجبه وتنفذ اليه .. انني انا الذي رتبت لك هذه الصور التخيلية ، ولكن عليك انت ان تختبرها .

والمطلوب من القاريء ان يقرأ ما في باطن الشخصية وان يستنتج الحقيقة من المعلومات المعطاه . فلو قدم لنا كاتب كبلزاك بيت « ستيفن ديدالوس » — بطل قصة جويس — لاهتم اهتماما بالغا بوصف الاثاث والجالسين وقائمة الطعام وهكذا ..

اما عند « جويس » فنحن نتعرف على البيت لا عن طريق المظاهر المادية بل عن طريق نوعيات الاحاسيس والعواطف الحية تحت سقف هذا البيت وما تتركه من أثر في (ستيفن ديدالوس) نفسه .

الفرق شاسع اذن بين ان نقرأ الكتاب وبين ان نتحسس بالكتاب ، ونوع التحسس هو الذي يجعل قارئا يختلف عن قارىء اخر ، ونوادر هم القراء الذين يحققون توازنا بين الفهم العقلي للقصة وبين التحسس الشديد بها . ومع ذلك فان معظم الكتاب يخاطبون المشاعر بقدر ما يخاطبون العقل في اعمالهم الادبية . والمشكلة ان اكثر القراء لا يجدون وحدة في الكتاب .. فالقصة السيكولوجية لا تقرأ على انها احداث متسلسلة زمنيا ، بل سلسة غير متجانسة من المدركات . ذلك لان الوعي لا يقيس الزمان قياسا آليا ، بل له مقياس خاص به يختلف من شخص الى اخر ، ولذا فان كاتب القصة السيكولوجية يشغل نفسه جادا بالزمن النفسي . والقاريء الغافل هو الذي يضل طريقه بسرعة اما القاريء الواعي فلا بد أن يدرب نفسه على أن يقرأ قصة تيار الوعي وكأنها شعر . لان الكاتب القصصي من هذا النوع يبدأ محاولا بكلماته ان يعبر عن طيوف الحياة الزاهية وتفتحها . فلا بد للكلمة أن تكون قادرة على رسم صورة ، أو نقل صوت ولا بد لها أيضا من أن تذكر القاريء برائحة مضت واحساس انقضى .

لقد قال بروست : « عندما يعيد الفن تركيب عناصر الحياة ، فان جوا من الشعر يحيط بتلك الحقائق التي استطعنا بلوغها ضمن نفوسيا » .

ان القصة السيكولوجية الحديثة هي (حديثة) لكونها تعكس لنا النزعة الباطنية البعيدة الغور لقرننا هذا .

والفن ليس شيئا جامدا ، فهو لا يسلم بالمطابقة، ويرفض الانصياع لقوالب كما يكره التكرار ، واذا انحط الفن فأصبح دعاية ، فانه ينبذ دنيا الفن ويدخل عالم الاعلانات ، ولا شيء يجعل الفن يزدهر كتنوع مسالك الحياة ، والبحث عن اشكال للتعبير جديدة . وتقنيات مبتكرة .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

اليوم رمادي !

شعر لؤي فؤاد الاسعد

آه كم هو طويل ولا ينتهي هذا الوقت ، كأنه شبح الحقيقة الصعبة التي لا نتبرأ منها .. ولا نتبرأ منا .

اليوم رماديا ، كان وواجهة الماضي الحاضر ،
ودعنا فيها النمش القوقازي الى جهة الغربة
اليوم يعيد الينـــا آلهة الذكرى
ومقابل وجهينـــا
حقل عتاب ينثر فيه الشعر بقايانا
ويضمخنا بالاتي المجهول ، وعاصفة الاحزان الرطبة
اليوم رمادي في وطن القلب ، ووجهي يحمل هذا اللون،
وغربتك القصوى تحمل ألوانا تعبه

★ ★ ★

وأنا في زاويتي
يتجاذبني تفريد الكلمات ، وأنت هناك .
يتقاطع فيك الدرب وتعلن شارته الاضواء الحرجة
يتلعثم بين رؤاك القول العذب
يتوقف ، تمشي بين ضلوعك نار القلب
هل هذي خطوات الاشواق أتيت بها ، لتعاقبنا
أم كيف ؟
أم تشرق فينا الشمس الغاربة الحيرى
وتحاصرنا بحرارتها في هذي الساحه

★ ★ ★

اليوم رمادي ، والايام تمر رماديه
وعلى هامشها ، تتناسل اعشاب ،
سكنت خضرتها أزمان قطبيه
وعلى سطح الاعماق السفلى
تترقـــرق ذكـــراك الحلوه
متداخلـــة في السر الغارق بالامطار المرة
هل يا أنت ، وبعد رجوع الماضي العاشق ،
هل اعطاك البحر مراياه ليحفظ وجهك فيها
وتعيديه مع الامواج ، لينثره بجهات الغيب
هل يا .. عفوا يا سيدتي
ان اقلعت السفن الوهنى من مرفئها
واستشهدت الافراح بعيدا عنها في وقت ضائع
قد ينسى المجروح احايينا اسمه

فعلى رجع ترانيم العزله
ترتـــج متاحف آلامي من هول الانسان
تسقط صورة حب من أعلى الجدران
هل انت هنا ،ما بين بقاياها في غبش الالوان
يستوضحك الحب .. تغيبين ، تعودين ،أم الماضي ،
العاشق يستيقظ مذعورا في أقصى الدرب
أم صورة من كنا احببناهم
من نعرفهم ، أنقى من نبـــع عذب
غـــدروا فينـــا ،
فتباعدنـــا ، وتوغلنا في التيـــه

★ ★ ★

هل أدركت الريح مزاياها، في أثر هبوب الاحقاد حوالينا
أم لملمت الازهار شذاها المسفوح على مر الاعوام
عفوا يا سيدتي .
يا نجمة أحلام باردة في عز الصيف
المزمن الماضي ، وتر مقطوع
والحاضر ، قلب مجروح
والآتي ، من يدري ،
فلـــرب طيـــور فاجاها فصل مجهول ،
فانسحبت متوشحة بالذعر الى جوف الصحراء

★ ★ ★

اليوم رمادي ، والطقس غطاء الازمان الخالية العجفاء
يسري في خطوات الحـــب
من يدري غيري ، ما يحمله الغابر من سكين الاصحاب
أعرفهم وحدي ـــ يكفـــي ـــ
فتقاصهم تحت ضياء البحر يكسر أفراح الماء
وتغيرهم يكتب في صفحات الموج
ما يطويه الصيف بأوراق اليم ،
اذا غرقت سفن الاحباب على شط العمر
ويقطع أوتار حنين القلـــب

★ ★ ★

أكثر من واجهة للماضي حاضرة في هذا اليوم
وأنا أكثر ايامي يبداها الحزن ، وأفراحي تغسلها الامطار

حلب ـــ لؤي فؤاد الاسعد

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com